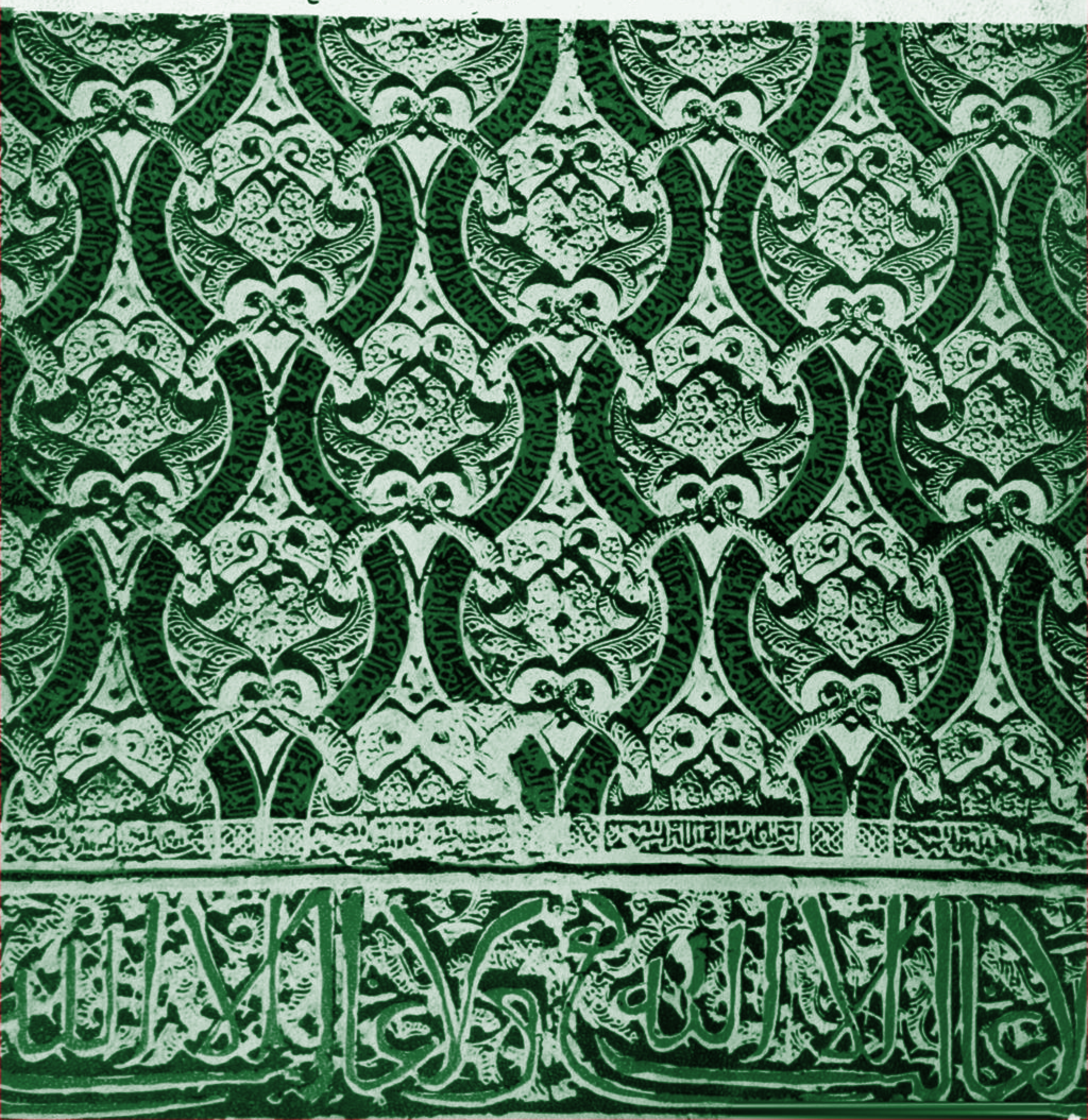
المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والفنون - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية - المجلد السابع - العدد الثالث ١٣٩٨ - ١٩٧٨ .




المجلد السابع خريف ١٩٧٨ العدد الثالث

دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م

كُونوا مُعَاصِرينَ ، شَرْطَ أَنْ تكونوا أَصيلين ، فالمعاصـــرةُ لا تَعْني أَبَدا إنقِطاعَ الجـذورِ ٠٠ كما أَنَّ اسْـتيعابَها لا يَعْني التَفْريطَ بتراثِنا الثقـــافي العظيم ٠

احمد حسن البكر



تصدرها وزارة الثقافة والفنون
الجمهورية العراقية

رئيس التحرير عبد الحميد العلوجي
مدير التحرير حارث طه الراوي

بين العربية والألمانية

بقلم

عبدالحق فاضل

القسم الاول

رد على نقد

اطلعت اخيرا في هذا « المورد » الاغر على مقال « حول الصلة بين العربية والالمانية » وبالقلم العريض : « أوهام لغوية »(١) بقلم الدكتور نوري سودان — تعقيبا على مقال لم اطلع عليه للاستاذ عبدالرزاق الحميري ، كان قد نشر في نفس المجلة (في المجلد ٤ — العدد ١٩٧٥/١) قال انه « يشتمل على (١٤٧) كلمة المانية وغير المانية ما بين اسم وفعل زاعما انها من اصل عربي » (٢)

وقال الدكتور سودان : « يفسر الكاتب وجود هذه الكلمات في اللغة الالمانية حسب نظرية الاستاذ عبدالحق فاضل التي جاء بها مؤخرا ويقول بانها «كانت المحفز الرئيسي على ولوج هذا الطريق الشائك الوعر » .

ويعقب على ذلك قائلا :

« اولا — ان العمل الذي اتبعه في المقارنة بين اللغتين بعيد عن المناهج العلمية .

« ثانيا — ان نظرية الاستاذ عبدالحق فاضل غير معتمدة في البحث العلمي .

« ثالثا — ان جل الكلمات الالمانية التي استشهد بها ليست من اصل عربي .

« رابعا — انه ليس هناك من صلة او وشائج قربى بين اللغة العربية واللغة الالمانية بالمعنى الذي تصوره الباحث » .

ولا اتردد في موافقته على النقطة الاولى ، لان ما نقله الدكتور سودان عن بحث الاستاذ الحميري ينافي النهج العلمي فعلا ولو انه اراد ان يبنيه على نظريتي القائلة بأن اللغة العربية هي ام اللغات الآريات ، لا الساميات والحاميات فقط .

ولو كنت اطلعت على ذلك المقال — المستند الى نظريتي — لكنت أنا الذي نقدته قبل الدكتور نوري سودان ، ولعدت الى توضيح طريقتي في تأثيل الالفاظ ، واهم ما فيها عدم الاكتفاء بالتشابه اللفظي لاني اشترط معه تحقق الصلة المعنوية . لان عزو كل كلمة اعجمية الى العربية دون حجة قوية يضعف الثقة بنظريتي نفسها ويساعد خصومها على مهاجمتها من نقطة الضعف هذه ، متجاهلين الحجج والبراهين التي سقناها بين يدى مدعياتنا اللغوية .

اما قول الدكتور سودان ان طريقتي غير معتمدة في البحث العلمي فهذا رايه . وليس ذنبي انه لم يقتنع بأدلتي الكثيرة التي اقتنع بها واستحسنها كل من عرفت من علماء اللغة ورجالات المجامع العربية . وانا انشر ابحاثي اللغوية في مجلة (اللسان العربي) بالرباط ، منذ ثلاث عشرة سنة ، وهي توزع مجانا عدا القراء العرب على نحو (٤٥٠) من المستشرقين في القارات الخمس ، ولم يرد اعتراض من احدهم مع ان فيهم من لا يحب العرب ولا العربية . وقد علمت أن بعضهم على العكس اقتنعوا بها ورحبوا بها ، ومنهم المستشرق الفرنسي الشهير جاك بيرك الاستاذ بالسوربون — الذي يتطرق في محاضراته الى نهجنا في (الترسيس) اللغوي ويسميه بالفرنسية racinisme .

واما النقطة الثالثة فاشهد اني لم اعثر على الاثل العربي للكثير من الالفاظ الالمانية التي اوردها

(١) المورد . المجلد ٦ — العدد ١٩٧٧/١

(٢) نفسه . ص ١/٣٢

الاستاذ الحميري . لكن ذلك لا يعني انها كلهـا ليست من العربية ... لان علمي الشخصي لا يحيط من اللغات بكل الفروع والاثول .

واما النقطة الرابعة التي ينفي فيها وجود صلة بين العربية والالمانية ـ منذ القدم ـ فسنبرهن له على ان الصلة موجودة وان الكثير مما ذكره الاستاذ الحميري من الالفاظ الالمانية يرجع الى العربية فعلا . وسنبرهن له كذلك على ان كلمة German نفسها ترجع الى اثل عربي عريق ، بل و (الرايخ) Reich كذلك . هذا عدا اننا سنضيف الى الفاظ الاستاذ الحميري الفاظا المانية اخرى تسنى لنا تأثيلها من الجرمانية القديمة وتتبع علاقتها في اللغات الاوربية الاخرى .

يمهد الدكتور سودان لنقده بذكر بعض القواعد في النهج اللغوي يستشهد عليها باقوال بعض اللغويين فيها الصحيح وفيها العليل ـ لو اننا ناقشناها كلها لاحتجنا الى تاليف كتاب . لكننا نقول بوجه عام اننا نقبل باقوال العلماء شكلا لا موضوعا . نصدقهم على الاغلب فيما ينقلون ويجمعون لكننا لا نسلم دائما بصحة ارائهم وسداد استنتاجاتهم ، ولا سيما ان الكثير مما يرد في كتب اللغة متعارض او ملتبس . وانما نستهدي بتمحيصنا للحقائق والاراء تمحيصا موضوعيا ، استقلاليا ، غير اتكالي ، نشارك فيه القارىء تتبعا وتحريا ، معتمدين على سداد حكمه وذكاء منطقه ، ومبيحين لنفسنا حرية قبول ما يقول القائلون من اللغويين ، او رفضه بناءا على ذلك .

وستتضح كل نقطة من مقومات نهجنا في مناسبتها اثناء هذا الحديث ، دونما حاجة الى استعراض ما لا نحتاج اليه منها هنا .

يقول ناقدنا الفاضل ، الدكتور سودان : « وحتى وجود بعض الكلمات الاخرى المتطابقة لفظا ومعنى في لغتين مختلفتين لا يشكل برهانا على الصلة بينهما . يقول المستشرق لتمان « .. وترد في لغات مختلفة كلمات تطابق بعضها البعض لفظا ومعنى ومع ذلك فلا علاقة بينها اطلاقا كالشخص الذي يشبه شخصا آخر مشابهة تامة دون ان تكون بين هذين الشخصين اي صلة او وشائج قربى .. » (المورد : ٢/٣٥) .

لكن المستشرق لتمان (Littmann) لم يخبرنا كم شخصا في المليون يشبهون بعضهم بعضا تمام الشبه ليقيس ذلك بعدد الالفاظ التي تتشابه بين العربية والاريات التي لا تزيد المفردات الاساسة في اكثرها على بضعة الاف كلمة . فلو كان التشابه في كلمة واحدة او بضع كلمات لاهملنا شأنها مع لتمان ومن نحا نحوه . ولكنها عشرات ، بل مئات . بل اسمع هذا :

« ترى طائفة من العلماء ان هاتين الفصيلتين ـ اي اللغات السامية والهندوربية ـ مع اختلافهما في القواعد ، تتفقان في كثير من اصول الكلمات . ومن اشهر افراد هذه الطائفة الاساتذة :

Klaproth, Bopp, Humbold, Ewald, Benfey, Lassen, Pott, Keil, Bunsen, Lapsius, Furst, Delitzsch.

وقد اوغل كثيرا في هذا السبيل الاستاذان فورست وديليتزش فلم يغادرا اصلا من اصول الفصيلة السامية إلا كشفا عما يشبهه صوتا ودلالة من اصول الفصيلة الهندية الاوربية »[٢] .

ثم يستشهد ناقدنا الفاضل بمزعم آخر للمستشرق بروكلمان يقول فيه « انه لا يكفي للمقارنة بين اللغات السامية واللغات الهندية الاوربية وجود الفاظ حضارية قديمة مشتركة يعمد الى مقارنتها مع بعضها ـ كذا ـ بصورة مصطنعة كثيرة التكلف ، كما لا يكفي الاعتماد على الالفاظ الصادرة عن محاكاة الاصوات الطبيعية الموجودة في جميع بقاع الارض بل يجب ان تكون المقارنة بين صيغ الافعال في كلتا الشجرتين .

« اما ظاهرة التشابه الصوتي بين بعض الالفاظ السامية وبعض الالفاظ الهندية الاوربية فقد لاحظها العلماء من قبل . ويؤكد المستشرق بروكلمان « ان تقدم البحث اللغوي في لغات آسيا الصغرى الكثيرة وفي لغات اوربا القديمة المتنوعة والتي كانت قبل اللغات الهندية الاوربية سيكشف النقاب عن ظاهرة التشابه الصوتي بين اللغات السامية واللغات الهندية الاوربية بان هذا التشابه وليد المصادفة ليس غير » (ص ١/٣٦)

هذا كلام فيه أغلاط ومغالطات ، فضلا عما في العبارات الاخيرة من اضطراب وعسر تعبير . فاولا : نسال المستشرق بروكلمان هل هو مستعد ان يتفق معنا على وجود الصلة الوثيقة بين مجموعتي اللغات السامية والارية اذا نحن عرضنا له المتشابهات بينهما « بصورة غير مصطنعة ولا كثيرة التكلف » ؟ وهل كل ما قدمه العلماء من صور التشابه تلك ، مصطنع وكثير التكلف حقا ؟

ثانيا : يقول الدكتور سودان « يؤكد

---

(٢) د / علي عبدالواحد وافي ـ « علم اللغة » ـ ط٣ ص٢٠٥

المستشرق بروكلمان .. » .. فماذا يهمنا ان يؤكد المستشرق بروكلمان او لا يؤكد ؟ لقد ظهر لنا في مناسبات مختلفة ان بعض تأكيداته يجافي الصواب ، وربما الموضوعية ايضا . فنحن من اجل هذا قد نقبل شهادته فيما ينقل لنا ،لكننا لسنا ملزمين بقبول استنباطاته وتأكيداته . وحسبنا نموذجا من ذلك تأكيده هنا على شيء لم يحدث في الماضي لنقبله منه كخبر ، بل على شيء يزعم انه سيحدث في المستقبل خلافا لمنطق الاشياء . فهو (يؤكد) « ان تقدم البحث اللغوي ... سيكشف .. بأن ــ كذا ــ التشابه وليد المصادفة ليس غير » !

وما ادراه ان ذلك البحث لن يكشف عكس هذا ؟

لو كان التشابه محصورا ــ كما قلنا ــ في بضعة الفاظ لقلنا معه ومع مشايعيه انه وليد المصادفة ليس غير ، لكن كيف نتجاهله ونهمله وهو كثير ، كالذي اكتشفه العلماء الاثنا عشر ــ الذين ذكرهم د/علي عبدالواحد وافي آنفا ــ وكالذي سنقدم البرهان على بعضه في هذا الحديث ؟

ثالثا : ما هي « الالفاظ الصادرة عن محاكاة الاصوات الطبيعية الموجودة في جميع بقاع الارض »؟ ان ناقدنا الفاضل يذكر في مكان آخر مثالا على ذلك من حكاية صوت القطع « فهو في اللغة العربية ــ يقول ــ قط ، وفي اللغة الصينية : كت ، وفي المصرية القديمة : خت ، وفي البابلية : كت ، وفي الآشورية : غت ، وفي اللاتينية : caedo وفي الانكليزية cut » (المورد : ١/٣٥)

يسرد هذه الالفاظ باعتبارها متشابهة لفظا ومعنى و « يدل لفظها على معناها » .. ظنا منه انها نشأت في كل من هاته اللغات مستقلة على حدة . اما نحن فنعتقد ان (قط) العربية هي اللفظة الوحيدة الاثيلة بينها ، لانها وحدها التي تصور صوت قطع عصا او عظم بضربة ساطور او فأس ، والباقيات مقتبسات منها و موزعات من هبات العربية على لغات الارض ، ولا سيما ان (خت) الفرعونية و (غت) الآشورية لا تمتان بأية صلة الى صوت القطع وانما تمتان بنسب صراح الى (قط) العربية التي تفرع منها في العربية نفسها : خت ، و خد، وخذ ، وقد ، وقذ ، وقز ، وقس ، وقص ... وجد، وجذ، وحش ،الخ ... وماتلك الالفاظ الاجنبية الا وشل من هذا الفيض . وسنرى بعد كيف انتشرت بعض الالفاظ ومنها الاعداد ، مثل ستة وسبعة ــ الى لغات البشر ولم تكن كل واحدة منها في لغتها مستقلة عن الاخريات من اي صوت من الاصوات . بل ما لنا لا نضرب مثلا بسيطا اقرب الى الفهم واوفر حظا من ايضاح وبلاغ فيما نريد اليه ؟ انه صيغة (القطة) اي الهرة، الناشئة من (قط) ذاتها ، فقد انتشرت هي الاخرى انتشارا كاسحا في عدد كبير من لغات اهل الارض (سنذكر عشرين منها) لاحقا .. ولا يمكن ان تكون (القطة) قد نشأت في كل لغة منها مستقلة ، من صوت القطع .

رابعا : يتفق الباحثون على ان ربوع جنوب اوربا على طول سواحل البحر المتوسط قد كانت تقطنها قبل العهد الاغريقي وما اليه شعوب سامية ، حتى شبجزيرة (= شبه جزيرة) ايبريا ، بل حتى سواحل غربي اوربا . فأين ذهبوا وذهبت لغاتهم ؟ هل القى المستشرقان ليتمان وبروكلمان واضرابهما من اساطين اللغويين المنكرين لكل صلة بين مجموعتي اللغات السامية والآرية على انفسهم هذا السؤال ؟ ان من المباديء اللغوية الاولية ــ المعترف بها والمعروفة عند كل دارسي اللغة ــ ان اللغات اذا تصادمت وقضت احداها على اخرى خلفت اللغة المدحورة في اللغة المنتصرة آثارا كثيرة من مفرداتها . وما يجوز ان يجهل هذه القاعدة الاساسية من يتصدى للابحاث اللغوية ، ولا ان يتجاهلها .

ومن امثلة تأثير العرب في اوربا ــ نشير الى كلمة الدكتور معروف الدواليبي بعنوان (حول اطلنطة)(٤) تحدث فيها عن المستشرق الفرنسي (هيلير بارانتون) ... « الاستاذ الشهير في اللغات الشرقية القديمة وخاصة السامية منها » ــ وذكر لهذا المستشرق كتابه « الايتروسكيون في غربنا وفي اصولنا الفرنسية »(٥) الذي نشره عام ١٩٤٦ . وقال ــ اي الدكتور الدواليبي ــ ان المؤلف « يقول عنهم انهم هم الذين ادخلوا عناصر الحضارة الاولى الى الغرب ، وان الرومان لم يفعلوا شيئا في احتلالهم جميع الغرب غير احياء الامبراطورية الايتروسكية لمصلحة الرومانيين . ويعتمد المؤلف في كل ذلك على الدراسة اللغوية بصورة خاصة لما خلدوه من كلماتهم الحضارية حتى

---

(٤) اللسان العربي . العدد ١٢ ــ ج١ ــ ١٩٧٥ ــ ص ٢٩٥ و ٢٩٦ .

(٥) Hilaire De Baretnton - "Etrosques en Notre Occident et Nos Origines Françaises"

ونقول بالمناسبة اننا نفضل تسميتهم بالعربية «الاتروديين» لان اسمهم الاجنبي هذا نسبة الى منطقة « اترويا » التي كانوا يقطنونها في شمال غربي ايطاليا .

اليوم في لغات الغرب وخاصة في اللغة الفرنسية علميا وجغرافيا . ولقد سجل المؤلف على غلاف كتابه على الصفحة الاولى قائلا في هؤلاء الايتروسكيين الكنعانيين « انهم قد نقلوا الينا العناصر الاولى لحضارتنا المادية والادبية ، والسياسية ، والدينية ، وانهم حرثوا ارضنا ، واسسوا مدننا ونظموا قواعد لغتنا ، وزادوا زيادة كبيرة في ثروة معاجمنا ، ولذلك فاننا انما نتكلم بجزء كبير من لغتهم حتى اليوم » .

فماذا يجدينا تجاه هذه الحقائق والكثير من امثالها (تاكيد) بروكلمان على عكس المعقول وعكس الحقائق ؟

ان التاثير (الكنعاني) حقيقة اصبحت معترفا بها ، الا عند من يجهلونها ، او يتجاهلونها . لكن اعتقادنا شخصيا يمتد الى ابعد من هذا ، فنحن نقول ان الآريين الاولين انفسهم يرجعون الى اصل عربي وان في لغاتهم آثارا ما تزال باقية من ذلك العهد السحيق (مما شرحناه في كتابنا « مغامرات لغوية » (ص ١٧٥ فما بعدها) . وما اذكر هذا تعصبا مني للعرب والعربية ، فان المشاعر القومية وما اليها لا مكان لها في البحث العلمي . وقد قلت ذلك واكدته وكررته في مختلف المناسبات .

وقبل ان يبدأ ناقدنا المفضال الدكتور سودان بمناقشة الالفاظ الالمانية التي ادعى الاستاذ الحميري انها من العربية اثلا ـ يندفع في مهاجمة مذهبنا اللغوي عامة بكلام لولا تجنب الاطالة لنقلناه للقارىء كله لنجيب عليه كله .

من ذلك انتقاده طريقتنا فيما اسميناه « علم الترسيس » حيث يقول : « فالبحث في نشاة اللغة مسالة قديمة شغلت الامم منذ اقدم العصور ولكن العلماء هجروا ميدان هذا البحث منذ زمن طويل بعد ان اتضح لهم ان « فكرة الوصول الى اعادة بناء رطانة بدائية بمقارنة لغات موجودة بالفعل سراب خداع » (١/٣٩) . ويحيلنا في الحاشية الى (فندريس) الذي يظهر ان هذه العبارة الاخيرة مقتبسة منه ، ويوصي بمراجعة مصادر اخرى .

نحن شخصيا لا نتفق مع هؤلاء العلماء الذين « هجروا ميدان هذا البحث منذ زمن طويل بعد ان (اتضح) لهم .. انه سراب خداع » . لو وقع حجر رشيد بين ايدي هؤلاء (العلماء) الذين ليسوا من الروح العلمية في شيء بدلا من وقوعه بيد شامپليون الذي عمل على فك رموزه ثلاثين سنة لبقيت الكتابة الهيروغليفية لغزا مغلقا حتى اليوم ولفاتتنا معرفة الكثير الكثير ، الخطير ، من روائع التاريخ المصري .

ولن اطيل في تحليل هذا الكلام الساذج وانما اكتفي باعادة ما قلته مرارا في مناسبات مختلفة ، احدها: « ومن اكثر العلوم اللغوية تخلفا ونقصا علم (اصل اللغة) ، لانهم وان قالوا نظريا بأن اصل نشوء اللغات كان من محاكاة الاصوات الطبيعية ، لم يكن بالامكان تطبيق ذلك في لغاتهم الا على عدد ضئيل من الالفاظ ، وبقيت الالوف من المفردات التي تتالف منها لغاتهم لا يعرفون لها منشأ ولا يجدون لها صلة بأي من الاصوات الطبيعية او غير الطبيعية .

لذلك صاروا يقولون ان هذا العلم وهمي افتراضي يقوم على التظني والخيال ، كغيره من محاولات البحث عن بدايات الاشياء مثل بداية الانسان وبدايةالحياة على الكوكب الارضي وما الى ذلك من معميات ضاعت حلقاتها الموصلة والادلة المرشدة الى حقيقتها في ظلمات الماضي البعيد . لهذا يعدون علم نشاة اللغة ادخل في باب الغيبيات والماورائيات (الميتافيزيك) منه في باب العلم الاستقرائي والاختباري .

ولا لوم عليهم في ذلك ، فالواقع ان لغاتهم على رقيها غير اصيلة ، بل كلها خليط دخيل ، وليس بينها واحدة نشأت فيمكانها وتطورت تطورا طبيعيا على السنة اهلها ، فهي من اجل ذلك قاصرة ، لا تصلح لدراسة نشوء اللغة وتطورها .

ولو عرفوا العربية ودرسوها في تفهم وتعمق لعرفوا انها من الغنى والاصالة والنقاء بحيث تعطي وحدها كل المادة اللازمة لاقامة (علم اصل اللغة) على اسس علمية راسخة . وبعبارة اخرى ان جميع لغات البشر لم تكفهم مادة لتكوين هذا العلم بينما وجدنا العربية وحدها قادرة على النهوض بهذه المهمة ، وكافية كل الكفاية .

وعلى هذا سنعيد هذا العلم ـ المطرود من حظيرة العلوم ـ الى مكانه اللائق .. » (مغامرات لغوية / ١٦٩ و ١٧٠) .

وفي هذا بلاغ .

وناقدنا الكريم قرأ هذا وقرأ الامثلة الكثيرة التي اوردناها للبرهنة عليه في « المغامرات »و في مجلة « اللسان العربي » اللتين ذكر في نقده انه مطلع عليهما . فلماذا يا ترى كتم كل ذلك وتجاهله متناسيا كل ما اتينا به من شواهد بينات ؟ اما كان اجدى على القارىء واكثر نصفة للعلم ان يذكر ذلك ثم يفنده ان شاء ، بدلا من ايراد النظريات العتيقة التي فندناها فيه ؟

وحبذا لو رجع في (المورد) ايضا الى محاضرة لنا تطرقنا فيها بشيء من التفصيل الى موقفنا من اولئك العلماء الناكصين الذين سدوا بوجوهنا باب الاجتهاد بدلا من الدعوة الى مواصلة التحري والتفتيش[٦] .

فهل من سيئاتنا — ام من حسناتنا — ان نخالف اولئك (العلماء) الانهزاميين ؟

ان الذي قصدناه بمقدرة العربية على ترسيخ (علم نشأة اللغة) هو كالذي شرحناه في مناسبات مختلفة انها لغة تكونت منذ البداية في موطنها ، على السنة اهلها ، وتطورت ونضجت في مكانها . في المعربة نفسها ... ولا سيما في اليمن ، وعلى جوانبها في الهلال الخصيب حيث قامت الحضارات الباذخة ، مما جعل العربية تجمع بذور اللغة البدائية الى جانب ثمرات الالفاظ الحضارية ولاسيما ان بعض اهلها قد مكث على حياة البداوة حين ارتقى آخرون منهم الى اوج التحضر ، وظلت لغتا كلتا الطائفتين متعايشتين ، ومن ثم اصبح في مقدورنا تتبع الالفاظ الصوتية الاولى .. الى ان اصبحت بالصورة الراقية التي نتكلم بها اليوم . ولا احب ان اضرب امثلة على ذلك فقد شبعت من ضرب الامثلة عليه ، لمن القى السمع وهو شهيد .

ويقول ناقدنا الفاضل : « لا يشك علماء اللغات اليوم في استقلال شجرة اللغات السامية عن بقية اللغات ، لا بل يعدون كل محاولة لتفريع هذه الشجرة من شجرات لغوية اخرى من المحاولات المحكوم عليها منذ البداية بالفشل » (٢/٣٥)

اولا كان بودنا لو قال (بعض علماء اللغات) بدلا من (علماء اللغات) فما كلهم يقولون هذا القول ، كما يعلم ، وكما راينا قبل .

ثانيا : نسأل اولئك العلماء القائلين بهذا الراي : لماذا يعدون الشبه بين الاوربيات والسنسكريتية دليلا على انحدار هذه من تلك ، ثم هم يرفضون نفس الدليل عند تطبيقه على الشبه بين الاريات والساميات ويعدونه «وليد المصادفات ليس غير » ؟ هل بواعثهم علمية ، موضوعية ، ام لديهم اسباب اخرى هم ادرى بها ؟

ان بعض المستشرقين يفتنون في افتعال الحجج لسد الطريق على الباحثين في هذا المضمار ، ويقتنع بها عن حسن نية من يقرؤون ولا يتمعنون . ومنهم من يناوىء العربية خاصة من دون اللغات ، ينكرون اية علاقة تربط لغاتهم بها ونسبهم القومي بالجزيرة العربية ، ولو من بعيد . وماذا نتوقع من هؤلاء حين تجبههم الحقائق سوى ان يتهربوا ويراوغوا ؟ ان السد الذي يحاولون اقامته عقبة في طريق البحث قد يبقى مستعصيا على الاقتحام امام العالم مدة من الزمن . لكن ماذا يجديهم تعويق الكشف عن الحقائق جيلا او قرنا من عمر الدهر ؟ ام هم يحسبون أن مغالطاتهم سوف تسجن العقل البشري أبد الآبدين ؟ صحيح ان غير قليل من اللغويين العرب يتابعون هؤلاء المستشرقين في بعض دعاواهم لكننا مقتنعون ان ذلك سينتهي عند اجل ، يوم يصبحون هم امناء لغتهم المجتهدين ، لا المقلدين .

وكلنا يعلم ان كل شيء مهما يكن صحيحا ومنطقيا ، يستطيع من شاء ان ينتقده متمحلا ما يتيسر له من ذرائع وتلاعب بالالفاظ وتهويل ومماصلة ، فاذا انت رددت على دعوى لهم ، بالمنطق والبرهان اجابوك بائنتين سواها ، وهكذا الى غير نهاية . وقد حدث هذا مرارا كثيرة في تاريخ البحث العلمي والنقاش الفكري . لكن ماذا كانت النتيجة ؟ الحقائق اثبتت نفسها واصرت على وجودها .. وذهب جفاءا كل ما قيل في مخاصمتها ومماكستها . وانما جنى اصحابها على انفسهم ، اذ كشفوا انفسهم على الملأ .

وينقل الدكتور سودان قولي عن الترسيس انه « اعادة اللفظة الى جدتها الاولى — حواء — في صورتها التي نطق بها اول انسان [نطق بها][٧] مع تعقيب المراحل التطورية التي قطعتها تلك اللفظة حتى وصلت الى الصورة التي نعرفها بها في احدى اللغات »[٨] ... ويعقب على هذا بقوله : « ان هذا الزعم يحتاج الى ادلة لغوية تسنده وبراهين تاريخية تؤيده ، ولم يقدم لنا الاستاذ عبدالحق فاضل اكثر من تأملات وتصورات هي اشبه بالقصص الخيالية العارية من الادلة والبراهين » .

ثمة امور تكون براهينها وثائق مكتوبة او تجارب مختبرية ، وامور يكون برهانها العقل والمنطق المقبول . وذلك كان برهاننا على ما ازجينا

(٦) موضوع « تسمية مكة ، ونشوء اللغة » — المورد . العدد ١٩٧٦/٤ ص ١٧ .

(٧) حذفها الناقد لانه ظنها زائدة فيما يبدو . والفرق كبير بين « اول انسان » و « اول انسان نطق بها » .

(٨) مغامرات / ٢٠٦

من آراء . وعندما ناقش الناقد الفاضل مثلا كلمة kanone الالمانية (رقم ٨٣ ، ص ٥٦) بمعنى المدفع ، ذكر انها بالانكليزية canon [والصواب cannon ولعلها خطأ مطبعي ، لان canon تعني القانون والشريعة]،وانها بالايطالية cannone وهي من اللاتينية canna : انبوب صغير ، ومنها بالالمانية kanal : انبوب كبير ، ثم استعملت للمدفع ، وهي باليونانية [نفضل الاغريقية بمعنى اليونانية القديمة] : kanna : انبوب ، واصل [اثل] الكلمة من البابلية الاشورية qanu وهي من السومرية [الشومرية] الاكدية gin . وذكر المصادر التي استقى منها هذه المعلومات وهي :

(Et. 305, 307, Litt. 18, D 5/340, BH. 394)

فمن اين جاءت هذه المصادر بهذه الالفاظ ؟ لابد ان بعضهم لاحظ بعضها هنا وهناك وسجلها ، وفعل سواه مثل ذلك بألفاظ اخرى حتى اجتمعت لناقدنا الفاضل . لكن العمل الاول كان يقوم على اطلاع بعضهم على لفظة في هذه اللغة وما يقابلها في لغة أو لغات اخرى . فالمصادر والادلة والبراهين هي الالفاظ نفسها وتقارب معانيها ومبانيها ، يستخلصها العقل السليم ويقبلها العقل السليم . وهذا هو دليلنا وبرهاننا . نلاحظ الكلمة تشبهها كلمة اخرى لفظا ومعنى فنستنتج ان احداهما نشأت من الاخرى . وفي بعض الاحوال تجتمع لدينا الفاظ كثيرة متقاربة نرتبها منطقيا حسب ما يتراءى لنا انه تسلسل تطورها .

لهذا لم نفهم مطالبته ايانا في (زعمنا) بالادلة اللغوية تسنده والبراهين التاريخية تؤيده . كل ما في الامر انني جمعت الالفاظ بنفسي كما جمعها المؤلفون الاوربيون الاولون صاروا ينقلون بعضهم عن بعض . وعلماء اللغة بعد سياخذون بما يرون اني اصبت فيه ويتركون الخطأ ان وجدوا خطأ .

وبعد قوله هذا مباشرة يقول عني : « كما انه لم يأت — في مغامراته — بثروة لغوية جديدة تغني المعجم العربي او تضيف الى المعرفة اللغوية العالمية شيئا جديدا ، ولم تتجاوز مغامراته اطار المعاجم المدونة ولم يأت بلفظة جديدة واحدة من عصور ما قبل التدوين فكيف يريد اعادة اللفظة الى جدتها حواء ؟ » (٢/٣٩) .

الافضل ان نفرز هذه القضايا التي شاء ناقدنا ان يلففها واحدة على اخرى ، لنجيب عن كل واحدة على حدة .

نبدأ بقوله ان (المغامرات) لم تضف شيئا جديدا الى المعرفة اللغوية العالمية . ولا نريد احراجه بان نسأله هو الذي تصدى لنقد منهجنا (غير العلمي) عما اضاف بمنهجه العلمي الى المعرفة اللغوية العالمية ، وانما نسأله الا يجوز لاحد في مذهبه ان يكتب بحثا لغويا الا اذا اضاف به « الى المعرفة اللغوية العالمية شيئا جديدا » ؟ وكم عدد الذين يعرفهم هو من علماء اللغة العرب من معاصرينا قد اضافوا شيئا من هذا القبيل ؟

ان نفرا من اجلة العلماء قالوا لنا فصلا ان « مغامرات لغوية » قد جاءت بمنحى جديد غير مسبوق في البحث اللغوي العالمي ولا سيما ان آراءها وتخريجاتها تتناول اللغات الآريات مع العربية . وانه ليخجل تواضعنا حقا أن نعيد هنا ما تلقينا منهم شفاها وتحريرا في هذا الصدد ، وان نذكر الناقد الفاضل ان المغامرات اللغوية ، وبالذات موضوعات (فضل العربية على الحضارات القديمة) /١٧٣ ، و (علم الترسيس) /٢٠١ ، و (اسرار الضمائر) /٢٤٥ ، و (العرب اول الفلكيين ؟) /٣٥٣ — لا تقدم حقائق لغوية عالمية جديدة فقط بل وتنسف الكثير من مفاهيم العلوم اللغوية الرائجة وقضاياها المسلم بها ، وتعطي مفاتيح لابواب من طرائق البحث اللغوي تقود الى آفاق كانت مجهولة ، وتجعل من البحث اللغوي علما واقعيا لامجرد نظريات ومجادلات بيزنطية . وكأني بالناقد الفاضل وهو اللغوي المتقلب كما يظهر بين كتب اللغة ، العارف بنظرياتها ، قد احس بذلك واعترف به بينه وبين نفسه فاضطر الى تبرئة ذمته امام نفسه بانكاره على الملأ . والا فما الذي اخطر على باله فكرة الاضافة الى المعرفة اللغوية العالمية ؟ أنا شخصيا لم اسمع ان احدا انتقص كتابا لغويا لخلوه من اضافة عالمية . يبدو ان حضور هذه (الاضافة) في كتابنا — لاغيابها — هو الذي أوحى اليه بفكرة انكارها .

والحكم على كل حالة ليس لي ولا له بل لمن يقرؤون ويدركون .

واما حكاية اثراء المعجم العربي فاحسبه يشير بها الى قالة بعضهم ان طريقتنا في كشف الحجب عن حقائق اللغة واسرارها وتتبع نشوء الالفاظ واللغات وما بينها من علاقات — امر لا جدوى فيه ، لان المجدي على قولهم هو الاتيان بمصطلحات جديدة تثري المعجم العربي . وجوابنا على هذا اولا ان القائلين بهذا لم يقدموا هم شيئا ذا بال يغني هذا

المعجم العربي . ثانيا انهم يعودون بنا في هذه القالة الى مراحل سحيقة من تعبير المعرفة منذ عهود الافريق بل وقبلهم منذ العهود الرافدانية الحضارية الاولى ، مذ تساءل الانسان هل يجب البحث عن الحقائق لتوسيع المعرفة ولو لم تكن ذات فائدة عملية ام الاقتصار على النافع التطبيقي ؟ ولقد كان القدامى اكثر عصرية وتقدمية فكرية من الذين يحرمون علينا البحث فيما يخالونه لا غناء فيه ، وبذلك يلغون كل المعارف غير التطبيقية ، وكل الكتب اللغوية وبضمنها كتب من له كتب منهم ، ويلغون انفسهم .

اما جهودنا المتواضعة في مضمار اغناء اللغة فيلاحظ قارئنا الكريم اننا نقترح احيانا في اثناء ابحاثنا – حتى غير اللغوية – استعمال كلمة هنا ومصطلح هناك .

وانا اعمل مع (مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي – بالرباط) منذ ثلاث عشرة سنة انفقت خلالها ما واتاني من جهد في تعريب المصطلحات الاجنبية ، والمساهمة في المعاجم التي اصدرها (المكتب) وضعا وتنقيحا ودراسة ، ومنها مثلا معجم النفط ، كما اني ترجمت عن الانكليزية والفرنسية (معجم صيانة الطبيعة) ووضعت لمصطلحاته مقابلات عربية وعقبت عليه بدراسة نقدية(٩) . هذا بالاضافة الى اعمال تعريبية صامتة اخرى ، ومنها اشرافي على تحرير مجلة (اللسان العربي) منذ عام ١٩٧٣ ، وبالاضافة الى دراسات معجمية في اللسان العربي بتوقيع المكتب ، اوبدون توقيع – تعقيبا على بعض المعاجم مثل :

١ – المعجم العسكري الموحد (العدد ٨/ج٢/ ١٩٧١ – ص ٤٦)

٢ – معجم الطيران المدني (العدد ٩/ج٢/ ١٩٧٢ – ص ٢٤٢)

٣ – معجم جودة الانتاج (العدد ١٠/ج٣ ١٩٧٣ – ص ٣٠١)

٤ – معجم شركة آرامكو للنفط (العدد ١١ – ج٢/ ١٩٧٤)

٥ – مصطلحات التشريح (العدد ١٤/ج١/ ١٩٧٦ – ص ٣٤١)

٦ – دليل مصطلحات المواصفات القياسية (العدد ١٤/ج/١٩٧٦ – ص ٣٤٦) .

وما الى هـذا .

وما اقول هذا لاباهي به لكن ليطمئن من هذه الناحية خاطر اخواننا الكرام الذين يتوقون مثلنا الى اثراء معجمنا العربي .

واما قوله اننا لم نات بكلمة جديدة واحدة من عهود ما قبل التدوين ، فكيف سيصدق بالقديمة مما قبل التدوين وهو لا يصدق بالمدون ؟

لقد استشهد هو على كلامه هـذا – في الحاشية (٤٩) – بقولي « وانما انا ابحث عن الالفاظ التي اقتبستها اللغات الاجنبية من العربية قبل الاسلام بل قبل التاريخ ولا تدري المعاجم ان اصلها عربي » (مغامرات/١٧٩) .

فهذا كلام واضح . انا لم اقل (جديدة) ، فالاتيان بكلمة جديدة وقديمة معا . من عندي ، فكرة فيها احالة . وانما المقصود هو كشف انتقال كلمة من لغة الى اخرى قبل عصر التدوين مما لم يرد في المعاجم ، نتوصل اليها عن طريق الاستقراء والاستنتاج . وقد اوردنا امثلة غير قليلة منها مثلا ما ازجيناه في فصل (العرب اول الفلكيين ؟) من الفاظ نشأت من (النوء) مثل : نَوْ (جديد) في الفارسية ومثلها new في الانكليزية .. ومن (النوء) ايضا : ناو (سفينة) بالفارسية ومثلها naus بالاغريقية ، و navis باللاتينية ، و nave بالايطالية . وحسبنا ان نعلم انها وردت naus بالسنسكريتية ايضا لنستدل على عراقتها في الاريات .

هذا فضلا عن خطورة اخرى للكلمة تنبيء ان الالفاظ الحضارية مثل السفينة لا تدل دائما على حداثة العهد فان العرب كانوا ملاحين جوابي بحار منذ القدم فيما يظهر اي انهم كانوا على جانب من الحضارة حتى في ايام هجراتهم الاولى .

فلو كانت (السفينة) و (الجديد) وامثالهما في الاوربيات فقط لجاز أن تكون من مخلفات الكنعانيين ومن اليهم ، لكن وجودها في الشرق القريب كبلاد فارس وفي الشرق البعيد كالهند ، ثم ظهورها بنفس المعنى المتطور المبتعد قليلا عن العربية في الاوربيات ايضا ، يعني انها انتقلت من العربية الى الشرق في عهود قدمى ومن هناك انتقلت فيما بعد الى اوربا قبل عهد التدوين الاوربي ، وربما قبل عهد التدوين الهندي والفارسي ايضا . فلما

(٩) اللسان العربي – العدد ١٢ ، لسنة ١٩٧٥ – ج١ ، ص ٢٠٦ .

ظهرت الكتابة هنا وهناك كانت الكلمات في لغة الناس فدونوها .

ويقول الناقد عني : « أما الاراء التي عرضها بخصوص الالفاظ العربية وصلة بعضها ببعض وتصاقب معانيها معمبانيها والتأويلات الاشتقاقية فانها مطروقة من قبل ، كتب عنها الاقدمون .. » (٢/٣٩) .

سيفهم القارىء الكريم من هذا اني ادعيت باني مكتشف نظرية (تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني) .. على حين اني بعد ان اوردت في المغامرات سلسلة من الالفاظ المتولد بعضها من بعض قلت بالنص : « فهذه المتشابهات التطورية المتشابكة الالفاظ والمعاني تفسر لنا تفسيرا شائقا جليا تلك الظاهرة اللغوية الشهيرة التي ادهشت القدامى من اللغويين العرب وأثارت اعجابهم وحيرتهم ايضا والتي سموها « تصاقب المعاني لتصاقب الالفاظ » ، وسنرى بعد من امثالها الكثير ، المقنع ، المشبع ..» (مغامرات/٢١١)

فانا كما يرى القارىء عزوت هذه الظاهرة الى اصحابها القدامى ، وانما انا فسرتها وعللت كيفية نشوئها . وناقدنا الاريب لا يخفى عليه الفرق بين ملاحظة الشيء وتفسيره . ونساله همسا : لماذا تجاهل ذلك ، بل واظهر عكسه ؟

ثم هو يقول عن هذه الظاهرة ان جرجي زيدان تحدث عنها في « الفلسفة اللغوية » .. « وربما كان لهذا الكتاب اكبر الاثر على الاستاذ عبدالحق فاضل » (٢/٣٩) ، ويضيف في الحاشية (٥٠) قوله : « قارن ما كتبه جرجي زيدان في كتابه الفلسفة اللغوية عن : اقدم الفاظ اللغة ص (١٠) ، كالضمائر ص (٦٠) واسماء ضروريات الحياة ص ١٢ و ١٣ ، ٩١ وعن الالفاظ المتقاربة لفظا ومعنى واعتبارها تنوعات لفظ واحد ، ص ٢٠ وعن القلب والابدال ص ٢٠ ــ ٢٥ . قارن هذه المواضيع بما يقابلها من مغامرات لغوية وبصورة خاصة ص٢٤٥ ــ ٣٤٩ موضوع اسرار الضمائر »

كان بودي لو اطلعت على هذا السفر القيم لجرجي زيدان فقد رايت اسمه يرد احيانا في ابحاث اللغويين يستشهدون ببعض محتوياته ، فان تنقلي في امصار الارض حرمني اقتناء الكثير من امهات الكتب . لكني اميل الى الظن انه كغيره من كتب القدماء والمحدثين برصد الظواهر اللغوية ويسجلها دون ان يفسرها ، وان فسرها فعلى الطريقة التقليدية التي لا تتعقب الالفاظ الى جذورها الصوتية الاولى . وبتعبير آخر انهم يقارنون وقد يؤثلون ، لكنهم لا يرسسون . وفكرة « الترسيس » لا اعلم ان احدا قال بها قبل ان ادونها وأنشرها(١٠) . وهو ــ الترسيس ــ عماد طريقتي في البحث اللغوي .

واذا كان الناقد الفاضل يدعو القارىء الى المقارنة بين ما كتبه جرجي زيدان مع فصل (اسرار الضمائر) في المغامرات تلميحا للقارىء يوهمه باني اقتبست هذه الموضوعات من جرجي زيدان ، فانما يستطيع بهذا ان يثير الشك في نفوس من لم يقرؤوا كتابي او الجهلاء ممن قرؤوه . لكن ما قوله في راي العلماء الفاهمين في تقييم نقده هذا ؟

كل التلاميذ يلحظون ــ كما لحظنا في الصبا ــ عند البدء بتعلم الانكليزية ، علاقة that بذاك ، و the بذي ، و then باذن ، و tail بذيل ، و when بحين ، و sugar بسكر ، و cotton بقطن .. الخ ، ثم الخ .. ومع عدم اطلاعي على (الفلسفة اللغوية) لجرجي زيدان اكاد اجزم بانه لم يفسر كيف نشات اية واحدة من هذه الكلمات وامثالها منذ تكونت من محاكاة اصوات مسموعة ، انه ذكرها كما يظهر من كلام ناقدنا الكريم ، او ذكر امثالها ، وربما قارنها بالفاظ اخرى في العربية او غيرها . فهذا شيء مالوف معروف . انا كالذي قلت ما ادعيت قط اني مكتشف تصاقب المباني لتصاقب المعاني في العربية ، ولا مكتشف العلاقة بين الآريات والساميات وهو الامر الذي بداه (شلوتسر) الالماني منذ القرن الثامن عشر . ولكني فسرت اولا كيف خرجت الآريات من العربية والاربون من المعربة . وفسرت ثانيا كيف نشات الضمائر وغيرها في العربية وتسربت الى الاريات . التفسير ، التفسير هو الذي ادعيته فقط ، وهو الشيء الذي اطالب الناقد الفاضل بالتمييز بينه وبين الملاحظة والتجميع . وليتني اطلعت على جداول الالفاظ المشتركة التي وضعها العلماء (الاثنا عشر وغيرهم) لاقصر جهدي على البحث عن اثولها وارساسها في العربية . اذن لما اضطررت الى التفتيش عنها بنفسي .

والناقد المفضال يقول من جهة ان منهجي غير علمي وان ما اوردته من ترسيس انما هو من تاملاتي و من تصوراتي الشخصية ، ثم هو ينوه بان

(١٠) في « اللسان العربي » العدد : ١٩٦٧/٥ ــ ص ١٨ ، ثم في « المغامرات اللغوية » ٢٠٣/٢

كل ذلك مقتبس من جرجي زيدان (من ص ٢٤٥ ـ ٢٤٩)

هكذا يذبح لنا (١٠٤) صفحات مرة واحدة . فيا لها مقدرة .

ولنفرض انه صادق في ادعائه باني اقتبستها فهل هو مؤمن بالحقائق اللغوية في كتاب جرجي زيدان ومنكر لها في كتابي ؟ أم اني مبتكر وناقل في وقت معا ؟

اذا كان هو يدعو الناس الى المقارنة بين كتاب جرجي زيدان (الفلسفة اللغوية) وفصل (اسرار الضمائر) في كتابي (مغامرات لغوية) فانا ادعو الناقد الكريم نفسه الى هذه المقارنة ، وليحكم بينه وبين نفسه ، علي وعلى نفسه بما يشاء . والدعوة عامة للجميع .

ان المساهمة العلمية التي اداها نيوتن لم تكن ملاحظة سقوط التفاحة بل تفسير هذه الظاهرة واستخلاص قانونها . اما سقوط التفاحة فامر يعرفه كل انسان ، بل ويعرف كل انسان اكثر من ذلك ان الحجارة ايضا تسقط . واذا لم تفرق بين التفسير والملاحظة ، امكننا القول ان نيوتن اقتبس نظريته من الشاعر العربي الذي توصل الى معرفة سقوط الاجسام الى اسفل ، يوم قال قبل الف وخمسمئة عام : « كجلمود صخر حطه السيل من عل » !

ويقول عني : « اما ترسيسه للالفاظ فيذكرنا بنظرية Bow-wow وان لم يشر اليها الاستاذ وهي التي تقول بأن « النشأة الاولى للالفاظ لا تعدو ان تكون تقليدا للاصوات الطبيعية التي سمعها الانسان الاول واتخذ منها اسماء لمصدر هذه الاصوات » .

وليسمح لنا الناقد الاريب ان نستغرب كلاما كهذا من (ناقد لغوي) حصيف . فان من يقرأ هذا القول الايهامي يخيل اليه اني ادعيت باني مخترع هذه النظرية ، على حين ان اي ذي معرفة ـ ولو يسيرة ـ بعلم اللغة يدري ان القول بنشوء اللغة البشرية من محاكاة الاصوات ، نظرية قال بها جل العلماء الاوربيين ان لم نقل كلهم ، لاننا لا نحسب عالما منهم ذا شان بقي مغلق الذهن عن هذه النظرية حتى اليوم . انها من الحقائق التي اصبحت عامة فلم تعد باحد حاجة الى الاستشهاد عليها باقوال العلماء . وان اتهامه لنا باقتباسها من نظرية Bow-wow يشبه اتهامنا اياه بانه اقتبس عقيدته بدوران الكرة الارضية من نظرية غاليليو « وان لم يشر اليها » ! .. كان يريد مني ان اشير اليها ! ..

وحسب القارىء ان يرجع الى ماذكرناه آنفا عن قول العلماء بنشوء اللغة من الاصوات وانهم طردوا علم نشاة اللغة من حظيرة العلوم لعجزهم عن تطبيق ذلك على لغاتهم .. الخ مما نقلناه عن المغامرات (١٦٩ و ١٧٠) ومما تجاهله الناقد الفاضل لسبب ما .

اضيف اني وغيري من اللغويين العرب المحدثين قد اشرنا مرارا الى ما هو اهم من ذلك وهو ان النظرية قد سبق اليها العرب مذ نوه بها ابن جني في «خصائص اللغة » قبل عشرة قرون . لكن ناقدنا الفاضل يقول اننا اقتبسناها من Bow-wow .. ولم نشر الى المصدر ! طريقة بارعة لايهام الجهلاء .

يقول عني : « فهو مثلا يرسس لفظة weight : وزن ثقل ـ بقوله « ونرسسها من صوت القطع هكذا : قط ـ قدّ ـ هدّ ـ هتّ ـ وهت wiht ـ بالسكسونية ـ weight بالانكليزية » (٢/٣٩) .

لكنه لم يذكر ما اوردناه من تعليلات تمهيدا لهذه المسلسلة ، وتمكينا للقارىء الكريم من الحكم بصحتها او فسادها نشرح الفاظها بايجاز كما يلي :

قط : قطع ، وهي حكاية صوت القطع . ومنها نشأت :

قد : قطع . ومنها نشأت :

هد : كسر ، هدم شديدا . ومنها نشأت :

هتّ : مزق الثوب او العرض ، فت الشيء وكسره . ومنها نشأت :

وَهَتَ : ضغط الشيء ، داسه شديدا . ومنها نشأت :

wiht بالسكسونية : ثقل ، وزن . ومنها نشأت :

weight بالانكليزية : ثقل ، وزن .

ولنفترض مرة اخرى اننا اخطانا في ترسيس هذه الكلمة ، فما قوله في ترسيس الكثيرات الاخريات ؟ (مغامرات / ٢٠٧ ـ ٢٤٠ وغيرها) .

ثم هو يعقب بقوله : « ومن حق القارىء ان يسأل الاستاذ عبدالحق فاضل عن الدليل القاطع على ان لفظة « قط » هي الجدة الاولى حواء الفريدة ؟ اليست هي حكاية صوت القطع ؟ اليست

هي عامة في سائر لغات العالم ؟ فهي في اللاتينية : caedo وفي الانجليزية : Gut [خطأ مطبعي صوابه cut] وفي الفرنساوية casser ونحو ذلك في سائر اللغات الارية ثم هي في الصينية «كت» وفي المصرية القديمة « خت » وفي الآشورية «غت» وفي البابلية « كت » وهي حكاية صوتالقطع بعينه . وبماذا تميزت « قط » عن بقية هذه الالفاظ حتى اصبحت الاصل ؟ وما هي الادلة على ذلك ؟ وهل تمثل الالفاظ التي ذكرها المراحل التطورية لمسيرة لفظة عبر عشرات الآلاف من السنين ؟ اين ومتى كان ذلك ؟ ما هي العوامل الحضارية والاجتماعية والتاريخية التي جعلت لفظة « قط » تتحول الى weight ؟ ومن الذي يؤكد لنا صحة هذا التطور ؟ » (٤٠/١) . يعيد علينا هنا الفاظ القطع التي وافانا بها سابقا .

قبل كل شيء ان casser الفرنسية التي تعني الكسر لا تقابل « قط » العربية لان اثلها العربي هو (كَسّ) ـ بالفتح ـ اي الدق الشديد ، او (كسر) حذفت راؤها عندما التقت في الفرنسية براء المصدرية . والذي يقابل (قط) في الفرنسية هو كلمة coupe : قطع (ومن قبيلها couteau سكين) .

اما ما تميزت به (قط) عن بقية الالفاظ الاجنبية فهو انها كالذي ابدينا قبل ، ادق تصوير لصوت عصا او عظم تقطعه ضربة فأس او ساطور . صوره الاعرب القديم بصوت القاف هذا القوي وصوت الطاء هذا الانفجاري . فأما تلك الالفاظ الاجنبية فواضح انها كالظلال لكلمة (قط) لانها لا تمثل صوت القطع الا غامضا ، وبعضها لا تشبهه بوجه من الوجوه مثل (غت) و (خت) و coupe و casser التي ذكرها . انها لا صلة لها بصوت القطع ، لكن صلتها تأتي عن طريق (قط) . فهي اشبه بصور باهتة مستنسخة عن صورة دقيقة حادة الخطوط ، أو هي اشبه بصورة الدرهم المسيح انملست معالمه . فهل لم يشعر ناقدنا الكريم بذلك حين سألنا ما الذي يميز (قط) عن الاخريات ؟

هذا وقد كتبنا عن (قط) بحثا قائما براسه بعنوان (قطّ وبناتها) أوضحنا فيه الكثير من شؤون هذه الكلمة الخطيرة وتشعب تطوراتها في المعجم العربي[11] .

واذا كان يرى ان هذه الالفاظ الاجنبية التي نقلها كما ذكر في الحاشية عن جرجي زيدان ، قد نشأت في كل من تلك اللغات على قوله من صوت القطع مباشرة ، مستقلا بعضها عن بعض ، فهو يوافقنا ولا بد على ان (القطة) قد صيغت في العربية من فعل (قط) مباشرة ، لكننانجدها اكثر منه ذيوعا واشتهارا في اللغات الاوربية ، على هذا النحو (ولنذكرها حسب ترتيبها الهجائي) :

١ ـ cat بالانكليزية ، والفرنسية القديمة ، والانكلوسكسونية ، والغالية ، والارلندية ، والبروفنسية (ست لغات) .
٢ ـ cath بالولزية
٣ ـ catt بالانكليزية القديمة
٤ ـ cattus باللاتينية المتاخرة
٥ ـ cattos بالغالية (= الاسكتلندية والارلندية القديمة)
٦ ـ chat بالفرنسية والفرنسية القديمة
٧ ـ gato بالبرتغالية والاسپانية (لغتان)
٨ ـ gatto بالايطالية (مؤنثها gatta)
٩ ـ kadis بالنوبية
١٠ ـ kat بالهولندية
١١ ـ kate باللثوانية
١٢ ـ katte بالفريزية القديمة والهولندية الوسطى (لغتان)
١٣ ـ katze بالالمانية
١٤ ـ kazza بالجرمانية الفصحى القديمة
١٥ ـ kot بالروسية
١٦ ـ kottr بالنورسية القديمة (مؤنثها catte)
١٧ ـ kotu بالسلافية

(Oxf. cat)

فهذه سبع عشرة صيغة في اربع وعشرين لغة . وبديهي انها ليست كل الصيغ في جميع لغات الارض ولكنها ما تيسر لهذا المعجم جمعه . ونضيف اليها kedi بالتركية . و kotka بالبولونية و kochka بالجيكية .

فهل هذه الالفاظ كلها نشأت في هذه اللغات من محاكاة أهلها لصوت القطع او صوت القطة ، مستقلا بعضها عن بعض وصارت تدل على نفس الحيوان لدى جميع هاتيك الشعوب ، دون تدخل

(١١) اللسان العربي ـ العدد ٨ ـ ج٣ ـ ١٩٧١ ـ ص ٥ .

من العربية ؟ من صوت القطة مثلا نجمت صيغة (ماو) بالفرعونية والصينية بمعنى القطة مستقلة كل عن الاخرى ، لانهما محاكاة مباشرة لصوت واحد . لكن الصيغ السبع عشرة ، بل العشرين ، لا يمكن الا ان تكون منبعثة عن مصدر واحد في لغة واحدة ، لان الصلة النطقية مع الصوت الاصلي قد انقطعت وبطل حكمها .

ويلاحظ القاريء ان اكثر هذه الصيغ تنطق بفتح اولها ، ما يوحي انها ربما كانت كذلك اول امرها في العربية ، ثم نطقوها بالكسر فيما بعد . وخمس من الصيغ الاخيرة تنطق بالضم ، وربما كان هذا يدل على ان بعض العرب كان ينطقها بضم اولها وما زالت تنطق كذلك بالدارجة المصرية .

ثم ما قول الناقد الفاضل في هذه الالفاظ الالمانية ومقابلاتها العربية : erde : ارض ، hin هناك ، mit : مع ، weh : ويح ، harsch حَرِش (خشن) ، kanal : قناة ، lowe اسد (من لبوة) ، rasse : رس (اصل) ، schiff (تنطق : شف) : سفينة ، sieben سبعة wein نبيذ (من الوين : العنب الاسود) ، zal ذيل :واخيرا katze : قطة ؟

هل التشابه بين كل هذه الالفاظ والكثير من امثالها « وليد المصادفة ليس غير » على طريقة تفسير ليتمان وبروكلمان وناقدنا المفضال ؟ ام تراها نشأت في اللغات الاوربية محاكاة لبعض الاصوات مستقلا بعضها عن بعض على طريقة جرجي زيدان وناقدنا المفضال ايضا ؟

ان تحرياتنا واستقراءاتنا في ترسيس الالفاظ العربية دلتنا على ان اللغة العربية هي مصدر الكثير من الصيغ المبثوثة في مختلف اللغات ، وما هذه (القطة) الا واحدة منها . واذا كان الناقد الكريم لا يقتنع بحججنا فليس في وسعنا ان نفعل شيئا .

والدكتور نوري سودان حين يوجه مناقشته الى الاستاذ عبدالرزاق الحميري ويفند عزوه الالفاظ الالمانية الى اثول عربية ، يدرج عددا من الصيغ لكل كلمة في لغات اخرى قديمة على الاغلب ، نقلا عن معاجم التأثيل الالمانية . ولم يطالب نفسه في اية واحدةٍ منها ، كما يطالبنا ، ولا طالب تلك المعاجم ، ببيان « اين ومتى كان ذلك ؟ وما هي العوامل الحضارية والاجتماعية والتاريخية » .. ولاسالهم « من الذي يؤكد لنا صحة هذا التطور » — مع ما بين بعض هاتيك الصيغ التي اوردها من تباين في اللفظ والمعنى . ان الذي يجيب على تساؤلاته هذه هو العقل المنطقي ، يستقريء ويقارن ، ويستخلص ، ويستنتج . وسنرى عندما يناقش بعض الالفاظ درجة مقدرته على الاستنتاج والاستخلاص من الشواهد التي يجمعها .

ويقول ناقدنا تعقيبا علىمسلسلة تاثيلنالكلمة weight آنفا ، ولا ادري كيف طاوعته نفسه ان يواجه القراء بهذا الكلام : « وربما قلد الاستاذ عبدالحق فاضل في تنسيقه لهذه الالفاظ نوادر علماء اللغة في اوربا فمن نوادرهم في هذا الميدان قصة تأثيل لفظة Fuchs : ثعلب ، حيث يقولون Alopex, Lopex, Opex, Pex, Pax, Pux, Fuchs بالالمانية وبالانكليزية Fox .

الوپكس — لوپكس — اوپكس — پيكس — پاكس — پوكس — فوكس » (٣٩/٢) .

اني لم اطلع على هذه المسلسلة التي ابدعها « علماء اللغة في اوربا » لاستوحى منها (علم الترسيس) فهذه كما يرى القاريء الفاظ لا معنى لها ،يحذف منها حرف في كل مرحلة ، لا شيء فيها سوى العبث ، لكن اذاكان الناقد المفضال يرى اني استوحيت منها ، أو (قلدتها) حسبتعبيره الكريم ، فلماذا لم يستوح هو منها شيئا افضل مما استوحينا واقرب الى الصواب والسداد ، يثري به المعجم العربي ، ويضيف الى المعرفة اللغوية العالمية ؟

رحم الله ذلك العلامة الفقيد علال الفاسي الذي كان يقول لي : (من اين تأتينا بسلاسل الذهب هذه ؟) واذا بالدكتور نوري سودان يقول لنا : فوكس ! سنّة الله . فما ظهر في تاريخ البشر مذهب فكري او راي ذو شأن ، خيرا كان أو شرا ، الا ظهر تجاهه صنفان من الناس : مناهض ومظاهر . واحيانا لا يشتهر الامر وتعرف خطورته الا بظهور هذين الصنفين الضدين .. فهل نستنتج من هذا ان لنظريتنا الترسيسية المتواضعة مثل هذه الاهمية ؟

على اية حال ان كانت العوبة فوكس هي التي تعلمنا منها (علم الترسيس) نكون قد استلهمنا خزعبلة تافهة ، وتسامينا بها الى مرتبة انتجت علما جديدا في اللغة يدفع التفكير اللغوي والبحث اللغوي الى الامام خطوات ويرفعه عن مستواه التقليدي درجات — بدلا من ان اتناول الجليل من الامور فاحيله الى ترهات .

ما كنت اتوقع ان يعرض الناقد الفاضل

طريقته هذه في النقد وفي مخاطبة العقول ، ويقـدم نفسه الى القراء ، بهذا الاسلوب . فانا اربأ بــه وانزه اعتداده بقوة ادراكه ان لا يميز بين مسلسلات ترسيسنا الكثيرة (في المغامرات وغيرها) وبـين سخافة « علماء ــ او جهلاء ــ اللغة في اوربا » هذه .

انه قرأ في (المغامرات) حديثنا مثلا عـن (لغلغة) الطفل وما انبثق منها من الفاظ عربيـة واوربية خطيرة (ص ١٩٣ ــ ١٩٧) ، وقرأ حديثنا عن محاكاة صوت الهواء (هووو) وما نجم منهـا من الفاظ عربية واوربية كذلك (٢٠٧ ــ ٢١٤) ، وقرأ غيرها وغيرها . فهل هداه ضميره العلمـي ومنطقه اللغوي بعد كل ذلك الى اننا قلدنا في ايجاد (علم الترسيس) مسلسلة (فوكس) ؟ هل يعتقد حقا أن ترسيسنا لكلمة river (٢١٣) و top (٢٢٨) و plate (٢١٩) ... تقليدا لمسلسلة (فوكس) ؟

على اننا من باب رد التحية بأحسن منهـا لنـاقدنا الفاضل سنبرهن له فيما سيأتي من بقية هذا الحديث على ان (فوكس) : fuchs) هذا الثعلب الالماني يرجع بنسبه العريق البعيد الى جده الاعلى (ابن آوى) العربي .

وهو اذ يعتبرنا مقلدين لمسلسلة (فـوكـس) ومقتبسين من جرجي زيدان يقول وان (ترسيسنا) للفظة weight وامثالهـا من تصوراتنـا «الشخصية البعيدة عنالمناهج العلمية» (٢/٣٩)انما يقولها تحقيقا لسنة الله في خلقه ، التي المعنا اليها ، كلما ابتدعت نظرية في التاريخ اذ يخاصمها الكثيرون ــ سامحهم الله ــ ويحاولون جهدهم تفنيدها بكل وسيلة . فاذا هـي صمدت واعتـرف اهـل الاختصاص بصحتها عاد اولئك المفندون المناوئون فقالوا : اديمه (= قديمه) ! . . وبذلوا جهدهم هــذه المـرة في البرهنـة علـى انهـا كانت معروفة قبل ان يأتي بها صاحبها . وناقدنا الكريم جمع في انتقادنا بين الاثنتين ، فاتهمنا دفعة واحدة بأننا تعلمناها ممن قبلنا ، وانها كذلك من تاملاتنـا وتصوراتنا الشخصية وبعيدة عن المناهج العلميـة ــ من باب اختصار الوقت .

يقول ايضا : « حبذا لو ذكر الاستاذ عبدالحق فاضل مصادره ومراجعه لكي لا يظهـر (علـم الترسيس) الذي يبـدو وكأنــه دون ترسيس علمي » . ولم افهم بالدقة اية مصادر يقصــد . هل يعني مسلسلة (فوكس) ؟ فهاهو قد اكتشفها وحده . ام كتاب جرجيزيدان ؟ فانا لم اطلع عليه . انا اجل بطبيعة الامر كتابا جادا ككتاب جرجـي زيدان عن ربطه بترهة (فوكس) . ام هو يقصد المعاني التي اشرح بها ما استشهدت به من الفاظ ؟ فهذه مصادرها المعاجم . ام تراه يقصد تفسيرنـا العلاقات بين الكلمات وتحدر بعضها من بعض فـي العربية وغيرها استنادا الى معانيها ومبانيها ؟ فهذه كما قال من (تصوراتي الشخصية) التي تفضل بوصفها بانها (بعيدة عن المناهج العلمية) . وامـا تصوراتي الخاصة نفسها فمن اين آتية بمصادرها؟

ان موجز مذهبـي اللغوي هو اولا الاقتناع بالنظرية القائلة بأن اللغة البشرية نشأت اول الامر من محاكاة الاصوات ــ والتي لم اقـل قط انـي مكتشفها ــ لكني انا الذي فسرتها بالقول ان اختلاف الناس في النطق سبب ظهور مترادفات لكل لفظـة ثم اختص بعض الالفاظ الجديدة المترادفة بمعنى جديد . وهكذا تكونت اللغة بمجموعها . وقلت كما تقدم ان اللغة العربية قادرة على اثبات ذلك لانهـا تملك الالفاظ البدائية وما تفرع منها مـن مفردات جديدة تطورت بدورها حتى بلغت مرتبة التعبيرات الفكرية والحضارية الراقية .

ثانيا : اقتنعت بما ذهب اليه الكثيرون مـن العلماء من وجود تشـابه حقيقي بين الاريـات والساميات ــ وهذه الظاهرة ايضا لم اقل اني انا الذي اكتشفتها ــ وحسبي ما نقلتــه آنفا مـن د / وافي عنهــا .

هذه الظاهرة الصريحة من التشابــه بـين الفصيلتين الكبيرتين انكرها بعض اللغويين الاوربيين كما رأينا في عناد ومكابرة ومراوغة . لكنا صدقناها وفسرناها بالقول ان الجزيرة العربية كانت كمـا يقول علماء الاختصاص ارضا خصيبة فيها غابات كثيفة تعج بالنبات والحيوان والانسان ، ثم اخـذ يسري فيها الجفاف قبل نحو احد عشر الف سنة على اثر انقضاء العهد الجليدي ، فاخذ سكانهـا ينزحون عنها الى الاقطار المجاورة : الهلال الخصيب شمالا ومن ثم الى آسيا الصغرى واوربا ، والى ايران وما وراءها شرقا الى الهند وتخوم الصين ، والى مصر والشمال الافريقي غربا بالاضافة الـى هجرة غربية اخرى عن طريق اليمن . وعندمـا اصبحت اوربا صالحة للسـكنى اتجهت اليهـا الهجرات من كل صوب من الشرق الآسيوي عـن طريق القفقاس وآسـيا الصغرى ومن الهـلال الخصيب والشمال الافريقي . والظاهر ان الهجرات لم تنقطع بل تكدس بعضها فوق بعض . ولا بد ان المهاجرين من المعربة (= الجزيرة العربية) قـد حملوا معهم لغتهم بمختلف لهجاتها ، فاجتمعت تلك

اللهجات في أوربا بعد تطور كل منها ولا شك على السنة اصحابها ، واختلطت وتفاعلت حتى ضاع الكثير من مفرداتها ، بل اكثرها ، بسبب اختلاف النطق وتغير المدلول . لكننا بالرغم من كل هذا مازلنا نستطيع تمييز الكثير من المفردات ونردها الى اثولها العربية .

هذا هو التفسير . لكن ما البرهان ؟

الجواب عند (علم الترسيس) .. الذي نقصد به البحث عن اثول الكلمة حتى الوصول الى رسها الاول الذي نبتت منه وهو تقليد الانسان بصوته احد الاصوات المسموعات . وعندها نجد أن الكلمة المشتركة بين العربية وغيرها قد نشأت من اول امرها في العربية ونمت واكتملت في العربية كما يولد الطفل وينمو حتى يبلغ اشده . فعندئذ نعرف ان المنشأ عربي لا آري . وهكذا . ذلك بأني لحظت في العربية الفاظاً رسية يتطابق نطقها مع الصوت المقصود بها مثل صَجَّ : ضرب حديدا بحديد فصوتا ، نقيق الدجاجة من قولها : نق نق نق وهي تلتقط طعامها ، فر الطائر من صوت جناحيه عند الفرار : فررور ، الهواء من محاكاة صوت هبوبه : هووو ، اللغلغة من قول الطفل : لغ لغ لغ ، البجبجة من قول الانسان : بج بج بج لاسكات الطفل عند بكائه .. الى آخر ما هنالك . وقد وجدت ان كلا من هذه الاصوات البدائية قد تطور واختلفت صيغ نطقه فتولدت من ذلك اصوات جديدة مقاربة ، وقد تفرعت الفروع الى فروع .. حتى بلغت مولدات بعض هذه الاصوات عشرات الكلمات ، وبعضها مئاتها ، وبعضها الوفها ..

وان شاء ناقدنا الفاضل هنا ايضا ان يقول (اديمه !) جريا على طريقته باعتبار ان ابن جني قد سبق الى ذلك حين استشهد بصوت « دوي الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي » قلنا اننا قبل كل شيء لم ننكر فضل الاولين في ملاحظة بعض الاصوات وإن هذه الاصوات ثانيا ليست كلها ترسيسية صحيحة ، نعني ان كلمة (الحنين) لا صلة لها بصوت الرعد و (النزيب) لاصلة لها بصوت الظبي و(الصهيل) لا صلة لها بصوت الفرس . وقد يتاح لنا ذات يوم ان نؤوب الى قائمة اصوات إبن جني — وما اضيف اليها بعده من اصوات — لنرسس الفاظها الترسيس الصحيح . ونكتفي هنا بترسيس سريع لكلمة (الصهيل) لانها قد تبدو للقاريء مطابقة او مقاربة لصوت الحصان . ان مرجعها فيما نرى الى صوت الفروج : صو صو صو .. فمنه نشأت صيغ : صاى ، صاء ، صاح ، صحل ، صال . و (صال) هذه هي الاثل المباشر لصيغة (صهل) ولها نفس معناها .

اما قوله انه ما كان ليعترض طريقنا لولا ان راى الآخرين يسيئون التطبيق فجوابنا عليه ان هذا ليس ذنبنا اولا ، ثم ان هنالك اناسا يحسنونه ثانيا ويجيئوون بالايجابي المفيد من النتائج . ولئن استشهد ضدنا بالاستاذ عبدالرزاق الحميري الذي جانبه التوفيق في تأثيل الكثير من الالفاظ الالمانية ، فاننا نستشهد لقاء ذلك بالدكتور عدنان الخطيب (رئيس مجلس الدولة في سورية سابقا ، والامين العام حاليا لمجمع اللغة العربية في دمشق) ، الذي نشر بحثاً قيما في مجلة المجمع (١٩٦٨) قال فيه انه استند الى بحثنا في ترسيس كلمة aquarium (١٢) من محاكاة صوت الهواء (هووو) الذي رسسنا فيه كلمة (آب) وما تفرغ منها من معاني الماء وما يتصل به من الاشياء ، فاستخلص منه ان « مادة الباء في ترتيب الصحاح تشتمل على اكثر مواد المعجم التي يدخل الماء عنصرا في تعريفها » .. واورد (٧٣) كلمة تنتهي بالباء من هذا المعجم ابتداءا من الالف الى الراء ، اي من (اب ب) الى (رطب) .. ولو قد استمر لوجد اكثر من هذا بكثير ، مثل زاب ، زبب .. حتى : وسب ، وقب . ولكنه انما اكتفى بما تقدم على سبيل المثال ، تأييدا لنظريتنا .

***

انا شخصيا اقدر النقد ، واحترمه . فان كان متجنيا يتعمد اظهار صوابي بمظهر الخطأ كانت لي في الرد عليه فرصة لتوضيح فكرتي وترسيخها . وان اظهر لي ما لم اكن اعرف من خطأ ، ساعدني ذلك على تصحيحه . وما اقول هذا تحذقا وتنوقا في الكلام ، فانا في الواقع اشد الناس نقداً لي ، مافتئ انقح واصحح واحذف واضيف ، تطلبا للاتقان على قدر الامكان .

لهذا اشكر مخلصا للناقد الكريم ما اثاره من نقاط ان لم تكن غيرت رايي في شيء مما سبق ان توصل اليه بحثي ، فقد قيضت لي مناقشة بعض امور واضفاء مزيد من شرح وتفصيل على نقاط سبق ان عالجتها ، بالاضافة الى مناقشة موضوع الصلة بين اللغة الالمانية وجدتها الاولى — العربية .

---

(١٢) ضمن فصل « علم الترسيس » — « اللسان العربي » ، العدد الخامس — ١٩٦٧ ، ص ١٨ . ثم في « المغامرات » (٢٠٧ — ٢١٠) .

بل ان نقده لاكثر ايجابية مما خطر له ، فهو لم يهدم ما ظنه خطأ مني او ما آثر ان يعده خطأ ، بل حرضني على احكام بناء ما سبق ان عرضت له وفتح شاهيتي على مزيد من البحث والاتيان بنماذج جديدة من اللغة الالمانية لم اكن تطرقت اليها قبل .

اما العلاقة بين العربية والالمانية فلا بد قبل البرهنة عليها ان نقول ان اللغات الاوربية يمكن قسمتها زمنيا — الغرض موضوعنا — الى مراحل ثلاث . الاولى المرحلة الآرية القديمة والثانية مرحلة سامية سوف نسميها (كنعانية) تجوزالغرض البحث، حيث انتشر الساميون حتى قبل عهد الكنعانيين في اوربا وشواطئها الجنوبية على الاخص ، وهؤلاء تركوا اثرا كبيرا من لغاتهم في الآريات الاوربية ولاسيما في المناطق الجنوبية . ومن الصعب تمييزها عن الآرية القديمة بوجه الدقة لكن في مقدورنا التعرف على الكثير منها اذا كانت حضارية راقية فالمفروض ان المهاجرين الاولين كانوا بدائيين يتكلمون لغة بدائية او حضارية شبه بدائية . والمرحلة الثالثة هي الاسلامية حيث دخلت الى اوربا مفردات عربية واسلامية كثيرة تتبعها الباحثون وهي خارجة عن صدد بحثنا ، لانها لا تثبت نسبا عرقيا بين العرب والاوربيين ، بل ويمكننا ان نضيف الى الالفاظ الاسلامية ، المفردات الكنعانية المتاخرة (اي الفينيقية) التي اندست في اللغات الاوربية بالمتاجرة والمخالطة لا بالهجرة والاقامة .

ان كانت المناطق الجرمانية ابعد عن المشرق مكانا من الساحل الاوربي الجنوبي فيمكن القول ان الجرمان بوجه عام أعرق في الآرية ولو أن ذلك يعني بوجه آخر انهم ارسخ في العروبة ايضا وان لغتهم منحدرة (مباشرة) عن العربية الاولى غير مطعمة الا قليلا — بعربية احدث عهدا .

وللبرهنة على العلاقة اللغوية — ونترك تقدير اهميتها العرقية للقارىء — سنتناول :

اولا : الضمائر وما اليها من الروابط في الالمانية .

وثانيا : سنناقش الالفاظ التي نتفق مع الاستاذ عبدالرزاق الحميري على انها ترجع الى العربية والتي اعترض عليها ناقدنا الدكتور نوري سودان ،

وثالثا : سنضيف مفردات المانية اخرى من عندنا ، مع تقديم البرهان على رجوعها الى العربية أثلا .

***

يجدر بي قبل التوغل في الموضوع ، وقبل مناقشة شيء من الالفاظ الالمانية — ان اصرح اني لا املك المصادر الكافية ، وان مكتبتي فقيرة بسبب تغربي في الخدمة الخارجية منذ عشرات السنين وتنقلي في الامصار . وقد امتدت غربتي وطالت حتى اليوم ، وليس في متناولي الان معجم تأثيلي بالالمانية ، ولكن معتمدي على معجم اوكسفورد التاثيلي بالانكليزية ، الذي سوف اشير اليه برمز (Oxf.) كلما ورد ذكره في هذا الحديث[١٢] .

ومعنى هذا اني اقتصرت من اللغة الالمانية على الالفاظ التي اعرف لهامقابلا مشابها بالانكليزية ،اذا كانت مشتركة مع الالمانية ، ولاعطاء فكرة عن المعاجم التاثيلية للقارىء الكريم نقول انها تتناول اللفظة وتذكر صيغها في اللغات الاخرى . فاذا طلبنا في معجمنا كلمة love (حب) مثلا بالانكليزية ، وجدناه يذكر معها lave في الفريزية القديمة (لغة منطقة المانية على بحر الشمال) ، lufo في الانكليزية القديمة ، luba في الجرمانية الفصحى القديمة و lieb في الالمانية الحاضرة ، وهكذا . وانما تطرقنا لمناقشة هذه الكلمة الالمانية لاننا نعرف نظيرتها بالانكليزية وهي love التي نستطيع ان نجد في معجمنا (Oxf.) علاقاتها باللغات الاخرى ، ولانها موجودة في الالمانية ولو بصيغة اخرى . وبديهي انه لو كان لدينا معجم تأثيلي بالالمانية نفسها لاستطعنا تأثيل مزيد من الالفاظ الالمانية ولو لم تكن لها مقابلات انكليزية . غير ان ما ناقشناه من الالفاظ المشتركة بين اللغتين الاوربيتين وأثلناه في العربية يكفي دليلا لمستدل ، وعلامة هادية لمستهد . ونامل ان يتفرغ بعض الباحثين الاكفاء لاستيفاء البحث ، فانا ليس في وسعي ان ادرس علاقة العربية بكل اللغات . وحسبي ان ادل على الطريق . ليتخصص كل في تأثيل لغة .

اما بالالمانية فلدي معجم موجز بينهاوبين الانكليزية ، يفي ببعض الحاجة هو :

Langenscheidt's Standard Dictionary

وسنشير اليه حين ياتي ذكره برمز (Stand) .

(١٢) The Oxford Dictionary of the English Etymology.

القسم الثاني

الضمائر الالمانية

الضمائر العامة

كانت الضمائر من اوائل الفاظ اللغة نشوءا ، وبسبب الاملاق اللغوي عهدئذ توكأ البشر على الالفاظ القليلة التي توصلوا اليها فاستعملوها للتعبير عن مختلف الاغراض (وقد تبسطنا في شرح ذلك في المغامرات/٢٤٧ فما بعدها) . ونقول هنا بايجاز ان آثار تعدد المعنى هذا في اللفظ الواحد ما زالت تطالعنا في الكثير من الضمائر واسماء الاشارة التي تسمى ضمائر ايضا في اللغات الاوربية كما في الانكليزية (demonstrative pronouns) والموصولات (relative pronouns). ويمكن ان نضيف اليها ظروف الزمان والمكان ، والروابط كحروف الجر ، وغيرها .

من امثلة بقايا ذلك في العربية نذكر الهمزة (أ) : اداة نداء بالمد والقصر ، وهي ما زالت تعني (نعم) بصورتها البدائية الاولى (آ) بالمصرية ، وبصورة (إي) في كثير من الدارجات الاخرى وفي الفصحى وبصورة (ايوه) بالمصرية ايضا ، و ayo بالارمنية ، و aio (بمعنى يقول نعم) باللاتينية. ونرى (اي) العربية تنطق بالواو (وى : oui) بالفرنسية ، وبالياء (يا : yea) بالانكليزية ، وتكتب (يا : ja) بالالمانية .

وتعني الهمزة كذلك ضمير الغائب (هو) بصيغة أو (u) بالفارسية و (o) بالتركية ، و (هو) بالعربية ! وهي (هي : he) بالانكليزية .

وتقوم الهمزة في الايطالية بادوار اخرى فهي (o) (تلحق بالاسم علامة تذكير ، و (a) علامة تأنيث ، و (i) لجمع الذكور ، و (e) لجمع المؤنث و واو العطف . وتاتي فعلا للتملك بصورة a، o ... ولهم فيها مآرب اخرى . ولها في الفرنسية غير ما تقدم من شؤون .

اما الهمزة (آ) فبالاضافة الى هذا نذكر من معانيها وتفرعاتها انها صارت تعني (انا) بصورة (آي : I) بالانكليزية و (هو) بصورة (أ) بالعربية في مثل ذهب (= ذهب + أ) ، و (هما) في مثل ذهبا (= ذهب + آ) ، و (أنتما) في مثل اذهبا (= اذهب + آ) .. وتاتي بمعنى (انت) ضميرا متصلا لكن في اول الفعل وهو الامر : اذهب ، اكتب ...

والنون (نا) نجده في حالات كثيرة كذلك منها بمعنى (نحن) في : نكتب وكتبنا ، وبمعنى (هم) و (هن) في يكتبون ، ويكتبن .. الى آخر ما هنالك (من تفصيلات ادرجناها في المغامرات) .

واما التاء (تـا) فنجدها في حالات كثيرة كذلك منهابمعنى المخاطب والغائبة في آخر الفعل بمعنى (انا) في كتبتُ ــ بالضم ــ (= كتب + تو)، وبمعنى المخاطب في كتبتَ (بالفتح) ، والغائبة في كتبت هي (بالسكون) ، والغائبتين في كتبتا هما.. وفي اوائل الفعل مثل تكتبان وتكتبون .. ولم يفطن النحاة الى الضمائر الثلاثة في اول الفعل (اي اكتب ونكتب وتكتب) لانها لم تخضع لاعرابهم .

وتاتي التاء بمعنى (انت) في الفارسية بصيغة (تو) ، ومثلها (tu) بالفرنسية ، وبصيغة (ذاو : thou) بالانكليزية ، و (ذي : thi) بالسكسونية ، و (ديخ : dich) بالالمانية ! .. الى آخر ما هنالك .

سؤال عابر . هل وجد الناقد الكريم هذا او شيئا مما يشبهه عند جرجي زيدان ، او غيره ؟

وعجيب ان الالمانية مازالت تحتضن الفاظا من الضمائر العامة المتعددة اللفظ لمعنى واحد والمتعددة المعنى للفظ واحد ، مع انها اليوم من ارقى لغات البشر علما وفلسفة وادبا وتقنية ، ودقة تعبير .

اما المعاني الكثيرة للفظ الواحد فمثل (an) يعني : عند (at) بالانكليزية ، على (on) ، فوق (upon) ، بجانب (by) ، ضد (against) (Stand.) .. وكذلك ضمير (der) يعني : اداة التعريف ، هذا ، هو ، هي ، الذي ، التي ، ايّ واحد ! (Stand.) .

واما الالفاظ الكثيرة للضمير الواحد فمثاله نفس هذا الضمير الالماني (der) يستعملون die و das و er مرادفات له بمعنى : هو . وكذلك : da و dort و hin و dorthin : هناك !

الضمائر الالمانية :

ان الضمائر العامة التي قلنا انها من اقدم المفردات اللغوية هي كذلك أثبتها واطولها عمرا .

فاذا اندثرت لغة بسبب تغلب لغة اخرى عليها فآخر ما يبقى منها يصارع المفردات الاجنبية الغازية هي الضمائر في اللغة الاصلية المدحورة . وما رأيناه من اختلاف معاني (الضمائر العامة) ومبانيها يعني ان الاعربيين المهاجرين الاوائل لم يكونوا كلهم يستعملون نفس الضمائر بنفس المعاني ، هذا عدا ما طرا عليها بعد هجرتها من تطورات وتحريفات على مر العصور . لهذا لا نتوقع ان نجد الضمائر الالمانية التي سنتناولها تنطبق تمام الانطباق على مقابلاتها العربية وهي لا تتطابق في الالمانية نفسها ، لكن حسبنا منها بعض الشبه الذي يبرر لنا الاخذ به ما رأينا الآن من نماذج قليلة لها أمثال كثيرة .

بالاضافة الى دلالة تشابه الضمائر الالمانية والعربية ، وهي دلالة لها اهميتها بذاتها ، ندعو المختصين الى التعمق في درس (قواعد) اللغة الالمانية ومقارنتها بقواعد العربية ، واحسبهم واجدين ما سيفيد البحث من حقائق ما تزال مجهولة ، وحسبي في هذه العجالة الخاطفة ان انوه بوجود الاعراب في بعض الاوربيات وهو يكاد يكون تاما في الالمانية والايسلندية ، كما انه يوجد ناقصا بدرجات متفاوتة في اوربيات اخريات . ان اقل تشابه في (القواعد) يُعدّ كبير الاهمية لانه يدل على الاصالة في اللغة او على تأثر شديد جدا بلغة اخرى، بينما عدم التشابه لا اهمية له مهما كبر لان اللغة الواحدة اذا انشطر اهلها تطور كل من شطريها في اتجاه مغاير ، مما يسبب سرعة ظهور الاختلاف بينهما . والاوربيات المفروض انهن من اصل واحد شاهد على ذلك . ان السكسون مثلا ــ وهم من الالمان ــ تغيرت لغتهم عن الالمانية بعد هجرتهم عن موطنهم . ومثل هذا يقال عن الساميات المنبثقات عن العربية سرعان ما اختلفت كل منهن عن امها كما اختلفت عن بعضها بعضا ، واصبحت كل منها لغة قائمة براسها لها معجمها وقواعدها . بل ان بعض لهجات السريانية يختلف عن بعضها الى حد انه لا يمكن التفاهم بينها . وكذلك شأن اللهجات العربية نفسها .

ويلفت نظرنا من (القواعد) كذلك تنوين الفعل بالالمانية وبنتها السكسونية ، كما في العربية ، حيث يصاغ الفعل المضارع فيهما باضافة (en) الى الاسم في الاولى و (an) في الثانية ــ شبيها بما لا يزال يقوله الجنوبيون عندنا في العراق : يشوفن ويروحن ... بالاضافة الى التنوين في الفصحى في الاسماء والافعال .

وأليك بعض الالفاظ الالمانية ــ من الضمائر وما اليها ــ وتأثيلها في العربية .

١ ــ ach (آخ) : آه

انها اداة توجع بالالمانية تعبر عن الالم او الاسف او التعجب .. مثل (آخ) في دارجتنا العراقية . ويقال عندنا كذلك : آخ آخ آخ : كناية عن الاستطابة او الاستنكار . وما اظننا نلام اذاقلنا ان هذه اللفظة العربية الباقية في بعض الدارجات هي ائل تلك الالمانية بنفس النطق . وهي ائلا من (آه) نطقت : ايه ، وويه ، وويح ، وويب ، وويل ... وآها ، وابها ، وواها .. ونجدها شبيهة بذلك في الالمانية : ah و aha و oh و o و weh

امانطق الهاء خاءا فله في العربية نماذج ،مثل: همدت النار وخمدت ، صهدته الشمس وصخدته ، تهارشت الكلاب وتخارشت ، ابله وابلخ (ولعل منه « البلخي » بدارجتنا العراقية) .

بالانكليزية : ache (ايك) : الم ، وجع . وهم يعلمون انها كانت في الانكليزية القديمة : éce و aecé ، وفي الانكليزية الوسطى : eche ، ولا يعرفون لها صلة بالعربية . لكننا نظنها من (آخ) العربية .

٢ ــ ah : آه

تقدم الكلام عنها في (ach) .

٣ ــ ah = aha

تراجع في (ach) .

٤ ــ da : هناك

وردت بصورة dar في الجرمانية الفصحى القديمة ، و thar في السكسونية ، و ther في الانكليزيةالقديمة ، و there في الانكليزية والراء (r) زائدة في هذه الصيغ كما هو واضح . والائل العربي هو (ذو ، ذا ، ذي) ــ الضمير العام ــ ولاسيما ان (ذا) ضمير اشارة مازال يعني هذا ، ومنه (ذاك) للبعيد . لهذا صار في الالمانية يشار به (بصيغة : da) الى (المكان) البعيد .

٥ ــ dann : إذن

هي اقرب الى ائلها العربي في then الانكليزية . وجاءت than و thanna بالسكسونية ، و denne و danne في الجرمانية الفصحى القديمة . وان كانت dann

تعني (اذن) بالالمانية الحاضرة فان لها صيغة اخرى يعتبرها المؤلفون الغربيون من نفس المادة هي denn (لاجل) ، ولاسيما ان dan بالهولندية تؤدي المعنيين كليهما اي : إذن ولاجل .

واذا تذكرنا ان (إذن) تنطــق في العربيــة (ذَن) ايضا بدون الهمزة (قاموس) ، اتضح لنــا ان الصيغ الاوربية التي مرت بنا آثل من (اذن) العربية الشائعة على الالسنة ، لاننا نعتقد ان (ذَن) هــي الاثل نجمت من (ذا) ـ خلافا لظن الفيروزابادي ان (إذن) تحــذف همزتهــا فتصير (ذن) . ومـــا than السكسونية الا (ذن) العربية فصــا ونصــا .

٦ ـ dannen : من هناك

هذه ايضا من سلالة (ذا) يؤيد ذلك ورودهـــا بالدال في الانكليزية القديمـــة : thanon وفي الانكليزية الحاضرة thence التي اثلها فيهـــا there : هناك . وصلب الكلمة (the) بدون هذه الراء (r) التي راينا نماذج ـ وسنرى نماذج متعددة اخرى ـ من دخولها زائدة عـــلى بعض الالفـــاظ . ويبدو أن dannen الالمانية قـــد انحدرت مباشـــرة من danan أو danana بالجرمانية الفصحى القديمة .

٧ ـ der = das

قلنا عند الكلام على الضمير العام ان (der) تعني : اداة التعريف ، هذا ، ذلك ، هــو ، هي ، الذي ، التي ، اي واحد . و das هذه مرادفـــة لهـــا . (Stand.) .

وهي بالانكليزية the (اداة التعريف) اقرب الى اثلها العربي (ذا) واثله (تا) ، وكلاهما اسم اشارة في العربية ، للقريب والقريبة . وكثيرا مـــا استعملت اللغات القديمة اسم الاشـــارة بمعنى الضمير .

ولها صيغ اخرى . فهي بالاضافـــة الـــى der و das آنفا : er و die في الالمانية نفسها بمعنى : هـــو . وقـــد وردت في الجرمانية الفصحى القديمة daz و der و diu وفي السكســـونية se ، وفي النورســـية sa و sü و that (ثات ، بالثاء المثلثة)... الخ .

٨ ـ dass : ذلك

الشبه بينهماوبين اثلهاالعربي اوضح في صيغة الانكليزيـــة that . وقـــد وردت daz في الجرمانية الفصحى القديمة ، و tad في الاثـــل الهندوربي (= الهندي الاوربـــي) .. على قول معجمنا (Oxf.) .

٩ ـ der

مرادفة لصيغة (das) آنفا .

١٠ ـ dich : انت

وهي dih و dir في الجرمانيـــة الفصحى القديمة . فهذه ثلاث صيغ يختلف الحرف الاخير في كل منها ، فضلا عن ان الصيغة الالمانيـــة - dich - تنطق بثلاث صور مختلفة (بالشين او الخاء أو الكاف) بحسب القبائل والازمنة .

وهي علاوة على كل ذلك : thi بالسكسونية والفريزية القديمة ، و thuk بالغوطية ، و te باللاتينية و se بالاغريقية .

ولا نتوقع ان نجدها بنصها ـ او بنصوصها المتباينة ـ في العربية ، وانما اثلها هو التاء فيمـــا يظهر بمعنى ضمير المخاطب في (ذهبت) بكسر التاء للمؤنث وفتحها للمذكر شبه صيغتها في اللاتينية te وفي السكسونية thi . امـــا الصيغـــة الاغريقية se فتؤيد لنا ما كنا ذهبنا اليه من ان ظهور ضمير السين (s) بصورة us و as و is و os و es في أواخـــر الاســـماء الاغريقية واللاتينية ، وكعلامة جمع في الانكليزيـــة والفرنسية والاسپانية ... وغير ذلك .. انما كان اثله التاء (مغامرات /٣١١ وما بعدها) .

١١ـ die : ذلك . هذا .. الخ

ترادف das و der آنفا .

١٢ـ diese : هـــذا

هي في الجرمانيـــة الفصحى القديمـــة : dese و deser و desiu و diz . وردت بالدال في الانكليزية والفريزيه القديمة ، this وبصيغ مقاربة في لغات اخرى قديمة .

والاثل العربي كما هو واضح (ذي) للمؤنث

و (ذا) للمذكر بمعنى (هذا) ايضا .. وينطق بالتركية (شو : shu) للمذكر والمؤنث والخلو(١٤)

١٤ـ dort : هناك

ترادف da التي اثلناها آنفا من (ذا) كما ترادف hin التي سيأتي حديثها ، وهي منحدرة من dar بالجرمانية الفصحى القديمة ..

ووردت daar بالهولندية و thar (ثار) بالقوطية والنورسية (النرويجية القديمة) بالاضافة الى صورها في لغات اخرى . وصيغة thar توحي ان اثلها العربي (ذا) ايضا .

١٥ـ du : انت

هي بنصها من الجرمانية الفصحى القديمة . وقد جاءت بصورة thu (ثو) في كل من النورسية والانكليزية القديمة والقوطية ، و tu في كل من الاغريقية واللثوانية والفرنسية والايطالية ، وهي كذلك (تو) بالفارسية . وجاءت بصورة thu (ذو) في السكسونية ومنها thou (ذاو) في الانكليزية .

ترجع في العربية الى التاء المفتوحة تجيء ضميرا متصلا بمعنى (انت) ايضا في كتبتَ (= كتب + تَ) . ولا نقصد بالدقة انها منها ، ولكنهما من نفس الاثل الاعربي المشترك .

١٦ـ ein واحد

هذا اثله الهمزة ، تطورت على نمط من هذا القبيل :

a : اداة تنكير بالانكليزية ، اي انها تعني الواحد حين تسبق الاسم .

an : اداة تنكير بالانكليزية ، تسبق الاسم المبدوء بهمزة .

an : واحد بالانكليزية القديمة .

en : واحد بالسكسونية

ein : واحد بالجرمانية الفصحى القديمة ثم بالالمانية المعاصرة ومثلها un (مذكر) و une (مؤنث) بالفرنسية ، و uno (مذكر) و una (مؤنث) بالايطالية ...

(١٤) نستعمل الخلو ـ زنة الشلو ـ بمعنى الخالي من الذكورة والانوثة مقابل : neutral gender .

وقد وردت بصورة oios بالاغريقية و aeva في (ابستاق) اي الكتاب الزردشتي المقدس . ويرى المؤثلون الاوربيون ان من هذه الفئة (يك) بالفارسية و ekas بالسنسكريتية (Oxf.) .

اما الرس (الهمزة) فحديثها طويل ، نجمت منها عجائب لغوية لا تحصى ، عندما كانت ـ ومازال ـ ضميرا عاما . من مظاهر عموميتها ان (a) تعني بالسكسونية : دائما ، ابدا ، قطعا ، حتى الابد ، اي وقت ، على اية درجة . اما في العربية فقد تحدثنا عنها قليلا فيما تقدم وكثيرا في اماكن مختلفة من (المغامرات) .

er : هو

تبدو الكلمتان متباعدتين يصعب اقناع القارىء بانهما كلمة واحدة . لكن اذا تذكرنا ان الراء (r) زائدة زال نصف الاشكال . فقد راينا قبلا نماذج من زيادة هذا الحرف عند انتقال الكلمة من لغة الى لغة . بل انه يزاد في اللغة الواحدة حيث ورد هذا الضمير بذاته في الجرمانية الفصحى القديمة بصيغ he , her , er . ولابد ان he هي الاثل ، ثم صارت her ثم er ، بدليل ان ضمير (هو) ورد بالانكليزية ايضا he .. وهنا زال النصف الثاني من الاشكال ، لان (he) واضح انها من (هو) ولاسيما اذا علمنا ان (هي) كانت قديما تعني (هو) في العربية (مغامرات / ٢٥٦) .

١٧ـ hier : هنا

لايبدو ان لها علاقة بنظيرتها العربية . لكننا نلاحظ انها تتصل بصيغة hin (هناك) ، ومنها hinnen (من هناك) ، والشبه بين (هنا) و hin غني عن التدليل .

و hier الالمانية اثلها hiar بالجرمانية الفصحى القديمة اي بزيادة الراء كذلك ، وتقابلها بالانكليزية here بمعناها ، ومنها hence (من هنا) . وهذه الاخيرة ايضا تؤيد ان الاثل نوني اي (هنا) .

١٨ـ hin : هناك

مع da و dort آنفا اصبحت لدينا ثلاث مترادفات . وقد ركبوا كلمة واحدة من dort و hin فاصبحت dorthin بنفس المعنى ، فصرن اربعـــا .

في الجرمانية الفصحى القـــديمة hina و hinan و hinana : من هنا . وتقابلها بالانكليزية hence ، وبالانكليزية القديمـة heona و heonane ، وفي الهولنديـــة heen - (Oxf: hence)

والغريب أن (هنا) تنطق بصيغ مختلفة في العربية ايضا ، مثل : هنا(بالفتح وتشديد النون) بالفصحى ، وهنا (بالكسر) في المصرية ، وهنانا : بالبغدادية ، وهناي وهنايا في بعض اللهجات العراقية وهوني (honi) بالموصلية ، وهين (hain) وهينا (haina) بالبدوية ، وهو ْ (hon) وهـَـو ْن و هَو ْني (بالفتح في كلتيهما) في ديار الشام .

١٩ـ hinen : من هنـــا

أثلها (hin) آنفـــا .

٢٠ـ ich : انـــا

لو قلنا للمنتقد الفاضل ان (ايخ) الالمانيـة هذه وثيقة النسب بصيغة jazu السلافية القديمة مثلا لما استطاع ان يصدقنا ، والحق معه فان مجرد كونهما من معنى واحد في اللغتين لا يكفي للربـط بينهما مادام بينهما هذا التبايـن في المبنى . لكـن الصلة تتوضح بالمقارنة مع نظائرهمـــا اذا نحـن عرضناها في ترتيب يقرب المتشابهات ، على نحو من هذا القبيل :

I (آي) ــ بالانكليزية

ih ــ بالجرمانية الفصحى القديمة وبالفريزيـة القديمة

ich ــ بالالمانيـة

ik ــ بالقوطية ، والسكسونية ، والفريزيـــة القديمة ، ايضا .

ego ــ باللاتينية

eo ــ باللثوانية

io (إيو)ــ بالايطالية

yo ــ بالاسبانية

jo ــ بالاسبانية الدارجة

je ــ بالفرنســـية

jazu و azu بالسلافية القديمة

وكلها نقلناها عـن (Oxf.) عـدا (jo) فهي من ذاكرتنا .

وهكذا ترتبط ich الالمانية بصيغة jazu السلافية القديمة على بعد ما بينهما في النطق ، فاذا كان هذا قد حدث في اوربــا وحدها بين لغاتهـا ، فلنتخذ منه درسا يساعدنا على التكهن بما يمكن ان يحدث للكلمة من ابتعاد عن اثلها العربي الاول ، وهو الامر الذي يضطرنا الى الاكتفاء بتأثيل الالفـــاظ القريبة الشبيهة فقـــط ، وترك الكثير لابتعـــاده الكبير . الا اذا وجدنا بعض الحلقات الموصلـــة بين الطرفين .

وقريب من صيغة jazu السلافية القديمة صيغة azem بالابســتاق ، ويضيف (Oxf.) الى هذه المجموعة aham السنسكريتية .

وكلها تعني : انا وكلها ترجع الى (ابســط) صورها الاوربية وهي الانكليزية (I) فيما يظهر . وقد اوضحنا (في المغامرات/٢٥٥) انتماءها الى الصوت البدائي الأعربي (آ) الـذي كان (ضميرا عاما) يدل على مختلف الضمائر واسماء الاشـارة واشباهها ، كالذي نوهنا به آنفا ، ايضا . ووردت الهمزة في العربية الحاضرة ايضا بمعنى (انا) لكن في اول الفعل المضارع ، مفتوحة نحـــو : اكتب ، ومضمومة نحو : اصافح ، كالذي نوهنا به .

٢١ـ ja (يــا) : نعم

اثلها العربي (آ) ايضا ، وقد تقدم القول ان من معانيها (نعم) بالدارجة المصرية ، وانها وردت بصيغ اخرى مثل (إي) بالفصحى وبدارجـــات اخرى ، و (ايوه) بالمصرية ايضـــا ، و ayo بالارمنية ، و aio : (قال نعم) باللاتينيـــة ، و oui بالفرنسية ، و yea (يا) بالانكليزية ومنهـــا yes .

وردت بنفس ja الالمانية في الجرمانية الفصحى القديمة وبصيغ ge و gese و gise و gyse بالانكليزية القديمة . مثال آخر من تعدد

الصيغ للضمير الواحد بسبب اختلاف القوم في النطق حتى داخل اللغة الواحدة .

٢٢- mit : مع

ابدال العين في الكلمة بحرف آخر حتمي لان الاوربيين لا ينطقون حرف الحلق هذا كما هو معلوم ، ويشبه ذلك تماما ابدال عين (السبعة) تاءا ايضا في السنسكريتية : sapta !

وتظهر mit في الانكليزية القديمة : with , mid (ويث) ، وهي بالانكليزية والفريزية القديمة with (ويذ) ، وبالجرمانية الفصحى القديمة wider ، وبالسكسونية wither .. الى غير ذلك من الصيغ التي تلحقها الراء (r) .

فلولا mit، وmid لما امكننا اقناع احد بان هذه الصيغ الكثيرة ولاسيما الرائية منها تمت الى (مع) العربية بنسب ، بالرغم من تطابق المعنى .

٢٣- O : يا ، آه

جاءت بمعنى النداء او التعجب او التأوهاو التافف او الاستنكار وقد وردت بنفس الصيغة في لغات اوربية كثيرة مختلفة قديمة وحديثة مثل القوطية والجرمانية القديمة واللاتينية .. ثم الانكليزية والفرنسية ..

وردت في الالمانية بمعنى التافف بصيغة weh , oh ايضا .

٢٤- oh : آه ، اواه

كانت تستعمل مثل (O) حاليا بالمعاني المذكورة آنفا . وهي oh كذلك في اللاتينية والانكليزية والفرنسية وغيرها .

٢٥- sie : هي

اللها العربي (تي) : تلك . وقد تحدثنا عن (ظهور السين) من التاء في المغامرات (٣١٠ - ٣١٢) كما نوهنا .

ومما يؤكد فكرة (الضمير العام) في الكلمة انها تعني بالاضافة الى (هي) : انتم ، وهم للعاقل وغيره ، وهو (لغير العاقل) . وهذا من امثلة الضمائر العامة التي استعمل كل منها لعدة معان في عهد الاملاق اللغوي ، وبقيت آثاره حتى الان بعد الاغتناء في لغة راقية دقيقة التعبير موفورة المفردات ، كالالمانية .

نطقها الانكليز بالشين (she) . تحوير آخر .

ولها في الاوربيات صور كثيرة يطول استعراضها نذكر منها siu في الجرمانية الفصحى القديمة ، و zho في الانكليزية الوسطى ، و zij في الهولندية .

وتلفت نظرنا صيغتا héo بالانكليزية القديمة و hiu بالفريزية القديمة . ويجوز ان تكون كل هذه الصيغ المختلفة من اثل واحد كما يوحي جمعها في المعاجم في صعيد ، دون تفريق بين الصيغ الهائية وغيرها من قبل المؤثلين الاوربيين الذين يمثلهم لدينا (Oxf : she) . لكننا نرجح ان الصيغتين الهائيتين (hiu , hèo) اثلهما المباشر العربي : (هي) ، بينما الاخريات اثلهن : (تي) كالذي ذكرنا . وبتعبير آخر ان الاعاريب الاولين نطقها بعضهم (تي) وبعضهم (هي) ، ثم تخصصت (تي) في عربيتنا بمعنى تلك .

٢٦- so : هكذا

هي في الفرنسية : comme ça (وترجمتها اللفظية : مثل هذا) مما يدل على ان cosi الايطالية ايضا كانت تتألف من (come+si) بنفس المعنى . اما comme الفرنسية و come الايطالية فاثلهما العربي (كما) ، حيث يقال بالموصلية مثلا « كما هذا » اي : مثل هذا .

واما ça الفرنسية ، و si الايطالية فاثلهما الأعرب هو (ذا) و (ذي) اللذين اختص احدهما فيما بعد بالمذكر والآخر بالمؤنث .

غير ان اللغة الالمانية ومثلها الانكليزية تكتفيان بكلمة (so) اي (ذا) - بمعنى هكذا .

٢٧ - wann : عندما ، حين

وردت اقرب الى اثلها العربي (حين) في صيغة hwenne بالانكليزية القديمة ، و hwan و hwann بالسكسونية .

وكانت wenne و wanne بالجرمانية

الفصحى القديمة حيث فقدت الحاء من (حين) التي تنطق هاءا عند الاوربيين . ومنها انحدرت الى الالمانية wann و wenn بمعنى .

كنا أثلنا (حين) في العربية من فعل حان يحين ، وهذا من آن يئين ، وهذا من (آن) الضمير العام . (مغامرات/٣٤٢) .

وقد نطقت هاء (حين) كافاً في اللاتينية حيث وردت نفس الكلمة بصيغ Quum و Quom و cum .

٢٨- weh : ويـل

هي قريبة جدا من اثلها العربي (وَيْه) التي منها نجمت : ويح ، ووَيْب ، وويل ، تقابلها في الانكليزية woe بمعنى الويل المصيبة . يقال بالالمانية weh dir : ويحك ، ويلك ، ويل لك .. مثل قولهم الانكليزية : wo to you .

وردت الكلمة في الانكليزية القديمة :
wae , wa وفي الفريزية القديمة والسكسونية. we ، وفي الهولندية : wee ، وفي الجرمانية الفصحى القديمة : wé وفي النورسية : vei vae ، وفي القوطية : wai . وتغيرت قليلا في الولزية : gwae .

٢٩- wenn : حين

ترادف wann التي سبق الكلام عليها .
لكن هذه تعني كذلك : إذا ، ونخالها بهذا المعنى ترجع الى أثل عربي آخر هو (إنْ) الشرطة بمعنى اذا ، أيضا . فلدينا هنا كلمتان اجتمعتا في صيغة واحدة هما :

wenn : من (حين) بنفس المعنى ، و
wenn : من (إنْ) بنفس المعنى .

٣٠- wer : الــذي

يصعب التصديق ان أثلها العربي : (هـو) . لكننا نتوصل الى هذه النتيجة عن طريق الجرمانية الفصحى القديمة حيث وردت wer و hwer وتزيد اقترابا من أثلها في hwa بالانكليزية القديمة ، و hwé بالسكسونية ، و who و hoc بالانكليزية الوسطى ، و who بالانكليزية .. وهي بالسنسكريتية : has .

وكلها تعني (الذي) لكنها نشأت كما هو واضح ولاسيما في hwa بالانكليزية القديمة من (هو) حين كان ضميرا عاما .

٣١- wo : اين

لا يضللنا هذا الواو بالالمانية بدل الهمزة في الصيغة العربية ، فان اكثر العرب ينطقونها اليوم بالواو في دارجاتهم : وين . ووجود هـذا النطق العامي في الآريات يدل على انه قديم في العربيـة . وكما ينقص النون هنا تزيد الراء في الانكليزيـة : where

ويظهر ان الالمانية هذه هي التي انجبت لهم was : ماذا . ولا يستبعدن القارئي الكريم ذلك فان أثلها في الجرمانية الفصحى القديمة : hwa و war و wa . كما وردت بصيغ متقاربة اخرى مثل hawer في الانكليزيـة القديمة ، و hwer في الفريزية القديمـة ، و hvar في النورسية القديمة ... (Oxf. where) . ولا حاجة الى القول ان wo الالمانية اقرب الى (ويـن) بالدارجة العربية منها الى hvar مثلا في النورسية القديمـة .

٣٢- zu : الى ، نحو

تنـاظر to و at مبنى ومعنى بالانكليزية ، وكلتاهما وردت في الجرمانية الفصحى القديمة ولو بشيء من التحوير . أما (to) فبصيغة zo ومنها zu بالالمانية هذه الحاضرة ، واما (at) فوردت az وقد اندثرت في الالمانية المعاصرة واندمج معناها في zu .

والاثل الاعرب لهذه الالفاظ مع الفاظ مقاربة اخرى في لغات اوربية قديمة وحديثة هو (تـا) التي منها نشأت (حتى) .. كالذي شرحناه (في المغامرات / ٣٤١) .. ومازال المغاربة يستعملون (تا) بمعنى : الى وايضا ، مقابل to و too بالانكليزية .

القسم الثالث

رد على رد

فيما يلي نستعرض بعض الالفاظ الالمانية التي عزاها الاستاذ عبدالرزاق الحميري الى العربية ، وعارضه في ذلك الدكتور نوري سودان ، لنعارض بدورنا معارضته أي لنبرهن على صحة انتمائها الى العربية ، ولو عن طريق غير الذي اقترحه الاستاذ الحميري احيانا . وها نحن ندرجها حسب ارقامها التسلسلية التي وردت بها في النقد الذي نحن بصدد الاجابة عليه .

١ - affe (آفه) : قرد

ذكر الاستاذ عبدالرزاق الحميري انها تعني القرد حسبما نقل عنه الدكتور سودان . ويظهر انه اثلها في العربية من (الآفة) .

غير ان الدكتور سودان نفى صلة الكلمة بالعربية قائلا انها « وردت في نصوص اللغة الالمانية الفصحى للعصور الوسطى : Affe وفي اللغة الالمانية الفصحى القديمة Affe وفي الهولندية aap وفي الانجليزية ape وفي السويدية apa (Et. 13) ويعتقد بعض العلماء ان اصلها من السنسكريتية : kapi انتقلت الى اليونانية بهذه الصورة : kapi ووجدت في نصوص اللغات الجرمانية الشمالية التي تعود الى ما قبل القرن الخامس الميلادي بصور apa و apo و ape ولا يدري العلماء متى واين فقدت الكلمة حرفها الاول (K) وقد عرف الجرمانيون هذا الحيوان من التجار القادمين من الجنوب (Et. 13, Litt: 24, 25.15) اما الآفة في اللغة العربية فتعني العاهة ، كل ما يفسد « آفة العلم النسيان » فليس هناك صلة بين Affe الالمانية بمعنى قرد والآفة في العربية بمعنى العاهة » .

ونحن نوافقه تماما على كل ما قال ، ولاسيما ان اختلاف المعنى بين القرد والآفة كبير . لكننا نبدي ملاحظة عابرة هي ان الدكتور سودان يكتب الالفاظ الاوربية هنا وفي اماكن اخرى من مقالـه مبدوأة بحرف كبير (capital) ما يجعل اسماء الأعلام تلتبس بها اذا وردت معها ، وصحيح ان هذا ما تسير عليه بعض المعاجم لكننا نفضل ابتداءها بالحروف العادية .

ان affe الالمانية وان لم ترجع الى (الآفة) العربية ترتد الى اثل عربي آخر هو (القفة) بفتح القاف او ضمه : اي القرعة اليابسة ، او الوعاء كهيأة القرعة يتخذ من الخوص . لا يهولن القاريء تفاوت المعنى ، فان اثل القفة هو قف العشب أو الشجر : جف ، والشيء : انضم بعضه الى بعض حتى صار كالقفة . وواضح ان لفظة (جف) اثلها (قف) ايضا . وقد سبق ان اثلنا الكلمة من قول الدجاجة قب قب قب ، حين ينقطع بيضها لترقد ، في حديث يطول .

نكتفي هنا بالقول ان هذا الاثل (قب) ايضا يعني : جف ، او جمع اطرافه . ومن معنى «انضمام بعض الشيء الى بعض حتى صار كالقفة » اصبح القف (بالضم) : الرجل القصير ، ثم اطلق على الاوباش والاخلاط من الناس — على قول المعاجم . وبالدارجة العراقية ايضا يقولون عن الشخص المتجمع من البرد او المرض انه صار قفة . لكن المهم هنا هو اطلاق الكلمة على قصار الناس وعلى الاوشاب والاخلاط منهم . فالكلمة تشبه في معناها (النسناس) المشتقة من (الناس) اطلقت على معان مختلفة منها انهم « خلق على صورة الناس وخالفوهم في اشياء وليسوا منهم » . وهذا ينطبق الى حد كبير على القرود ، وقد اطلق النسناس فعلا على القرد بالدارجة السورية وعلى نوع من القرود بالمصرية ، ونعتقد انها تسمية عربية قديمة اهملتها المعاجم . ونرى بناءا على ما تقدم ان (القف) بالفتح او الضم اطلقت على القرد ، ثم انقرضت التسمية بالعربية المعجمية . وما نقول هذا اعتمادا على محض الاستنتاج ، فقد وردت (قف) — بالضم — بمعنى القرد فعلا في الكنعانية ، او بصورة قوف (qof) على قول « المعجم الكبير » — (مادة : ابجد) . هذه الكلمة رسموها على هيأة القرد في كتابتهم الابجدية المشهورة ، وقصدوا بها الحرف الاول منها وهو الذي نسميه بالعربية (قاف) ولعل هذا كان صيغة مرادفة لـ (قوف) الكنعانية بمعنى القرد لانه اقرب الى النطق السنسكريتي kapi ويقابلها القاف باللاتينية حرف Q الذي نحسبه يشبه القرد بعد ان انحذف راسه وقصر ذيلـه .

والظاهر ان الكلمة السنسكريتية بعد ان نشأت من العربية (قاف) او (قَفّى) او نحوهما

انتقلت الى الاغريقية ، ثم تسربت في بقية الاوربيات .

يبقى ان نقول ان الكلمة آرية شرقية ، لان الآريين الاسيويين الاوائل الذين انتقلوا الى اوربا لم يجدوا قرودا في غاباتها فانقرض ذكرها من احاديثهم ولغتهم ، ثم عرفوها فيما بعد حين جاءهم بعض المشارقة بالقرود للتجارة .

۲ ـ amme : مرضع او حاضنة

يرى الاستاذ الحميري انها من (امة) لكن الناقد المفضال يذكر صيغتها في بعض اللغات القديمة مثل amma في الجرمانية الفصحى القديمة و ammia بمعنى الام في اليونانية [نفضل كلمة الاغريقية لمعنى اليونانية القديمة] . . . ليقول اخيرا : « ويرجح العلماء ان كلمة am(ma) هي الاصل لمجموعة من الكلمات اللاتينية منها amare : يحب . . »

لكن هذا مجرد اضافات تكميلية لكلام الاستاذ الحميري ولم نجد فيه ما ينفي الصلة بين (amme) الالمانية و (امة) العربية وانما هو يوسع هذه الصلة لتشمل اللغات اللاتينية جمعاء . والواقع ان علماء اللغة يقولون انه ما من لغة الا ونجد فيها جذر الام والاب .

نزيد أن الصيغة العربية مع مد حركة الهمزة (آمه) تعني في اللغة الصينية كما في الالمانية : الحاضنة او المرضع . واثل (الامة) في العربية هو (الامّ) وهي من قول الطفل ما ما ما . . با با با دا دا دا . . . فصيغت (الام) من (ماما) كما صيغت (الاب) من (بابا) . ومن الام نشأت (الأمّة) بالتشديد بمعنى الشعب و (الأمة) بالتخفيف التي كانت فيما نعتقد تعني بالعربية ايضا : المرضع والظئر التي تقوم مقام الام اول الامر ، ثم صارت تعني العبدة لانهم كانوا يتخذون الاماء حواضن لصغارهم .

٤ ـ armee : جيش

رد الناقد الكريم قول الاستاذ الحميري انها من (عرام وعرمرم) لانها دخلت الالمانية في القرن الـ ١٧ من الفرنسية بمعنى التسليح المقتبس بدوره من اللاتينية arma : سلاح .

لكننااذا رجعنا الى مادة (أرم) العربية نجد ان أرَمَت السنة قوما : قطعتهم فهي ارمة . وآرَم عليه : عض ، والأرّم (بضم الهمزة وفتح الراء مشددة) : الاضراس ، والارض المأرومة والأرماء : لم يترك فيها اصل ولا فرع ، والآرام : الاعلام .

وما نقول من الضروري ، لكن ليس من المستبعد ، ان يكون معنى السلاح والحرب قد نشأ من كل هذا وانتقل الى اللاتينية بمعنى السلاح . واذا كنا لا نؤكد ذلك فاننا لا نجد موجبا لانكاره .

۷ ـ banana : موز

الاستاذ الحميري : من (بنان).

الدكتور سودان : « الكلمة دخيلة على اللغات الاوربية وهي من لغة اهل غينيا فالموز عندهم bana و banana و bananda نقلها البرتغاليون والاسبان الى اوربا . . ولا علاقة لها بكلمة (بنان) العربية التي تعني الاصابع او اطراف الاصابع » .

صحيح انها دخيلة في الاوربيات ، لكن ذلك لاينفي انها من (بنان) العربية لشبه الموز بالاصابع فعلا ، ويقال خمس اصابع موز مثلا كما يقال خمسة رؤوس غنم والعربية دخلت إفريقيا وخالطت لغاتها ، وما اللغة (السواحلية) في معظمها الاعربية محرفة كما ينطقها افارقة السواحل . كما ان معجمنا (Oxf.) يذكر ان الكلمة من لغة الكونغو . والذي نعرفه ان لغتهم هي السواحلية .

فليس بمستغرب ان ندخلها كلمة البنان كما دخل غيرها من الالفاظ . . ثم نزحت الى اوربا .

۸ ـ besser : احسن

الاستاذ الحميري : « جارية بسرة وغلام بسر » . . اي جارية شابة وغلام شاب اي غض .

نؤيد ما ذهب اليه الدكتور سودان من ان الكلمة الالمانية لا صلة لها بهذه الكلمة العربية . لكننا نعتقد انها منحدرة من كلمة اعربية اخرى نتوصل اليها كما يلي :

انها بالانكليزية better وبالفارسية بهتر (bihtar) ووجودها في الفارسية مع الاوربيات ينبىء انها من مخلوقات ما قبل التاريخ . ولو قد كانت في اللغات الاوربية فقط لجاز القول بأنها من مخلفات عهد الانتشار العربي (الكنعاني) في اوربا. لكن وجودها هذا في هذه الآرية الشرقية يعني ان القبيل الاعرب الذي غادر المعربة بهذه اللفظة شرّق

بعضه الى ايران وما وراءها وغرّب بعضه وشمل الى اوربا ، كما ان بعض الآريين المشرّقين عاد فهاجر فيما بعد غربا فتكوّنت الآريات الغربية خليطا من لهجات هؤلاء وهؤلاء وكلهم في الاصل اعربون (= عرب قدامى) .

يقول المؤثلون الاوربيون ان better الانكليزية الآنفة اثلها betera في كل من الفريزية والانكليزية القديمتين ، تضاهيها betiro بالنورسية و batisa بالقوطية .. وهي beziro بالجرمانية الفصحى القديمة . اي ان الالمانية الحاضرة besser اقرب الى الانكليزية better منها الى هذه الجرمانية القديمة .

وهي في جميع هذه اللغات صيغة تفضيل ، اما الصفة المجردة التي كان ينبغي ان يكون bet او bess بمعنى الجيد فلا وجود لها في الاوربيات ، وانما يؤدون معناها بلفظة اخرى في كل لغة .

لكن الاثل الفارسي احتفظ بالصفة الاصلية ومعها التفضيل بدرجتيه : به (جيّد ، حسن) ، بهتر (احسن) ، بهترين (الاحسن) .

والسؤال الآن ما علاقة (به) الفارسية بعربيتنا ؟

وردت الكلمة في العربية مفردة (به) ومكررة (به به) بمختلف حالات نطقها من تخفيف وتشديد وتسكين وتحريك ، وهي « تقال عند تعظيم الانسان وعند التعجب من شيء ، وعند المدح ، والرضا عن الشيء » ــ اللسان . ومن (به) ظهر في العربية (البهاء) والفعل هو : بها يبهو بهاءا : حَسُن وظَرُف .

ونجد (به‌به) مكررة في الفارسية ايضا بمعنى الاستحسان والاستطابة ، و (به) مفردة بمعنى الجيد والحسن ، ومن ثم اضيفت اليها اداة التفضيل (تَرْ) وهي في الفارسية قاعدة قياسية فصارت (بهتر) : احسن ، اجود ــ كما اضيفت اليها (تَرِينْ) وهي ايضا قاعدة قياسية لا شذوذ فيها ، فصارت (بهترين) : الاحسن ، الافضل .

واثل (به به) في العربية هو (بخ بخ) التي سبق ان رسمناها من الصوت البدائي (بج بج بج) .. ولا نريد هنا الاطالة وانما نحيل القاريء الكريم اليها في كتابنا « تاريخهم من لغتهم » ــ و (اللسان العربي) ــ العدد ١٤ ــ ج١ ــ ١٩٧٧ ــ ص ١٢٥ .

٩ ــ best : الاحسن

ذهب الاستاذ الحميري الى انها من « البسطة في العلم والجسم وبسطني الله على فضلني » .

قبل كل شيء يقول الدكتور سودان : beste وليس best » .. لا ندري لماذا ، لان best هي الصواب . على اننا لا نتفق مع الاستاذ الحميري ، فما للكلمة الالمانية هذه علاقة بالبسط لانها صيغة تفضيل مشتقة من سابقتها besser الآنف ذكرها .

وهي نفس الصيغة اي best في الانكليزية والهولندية وفي الفريزية و السكسونية القديمتين . وكان من حقها ان تكَون في الانكليزية bettest لو روعي القياس في صياغتها من better . وقد وردت فعلا بهذه الصورة في الانكليزية القديمة اما في الجرمانية الفصحى القديمة فقد كانت صيغتها bezzist . وهنا ايضا تكون الالمانية الراهنة اقرب الى الانكليزية منها الى الجرمانية القديمة ، كما ان الانكليزية الحديثة اقرب الى الجرمانية المتاخرة منها الى الانكليزية القديمة . اختلاطات اخرى ، تدل على تأثير لهجات ضائعة غير مكتوبة .

١٤ــ burg : قصر ، قلعة

انكر الناقد الفاضل على الاستاذ عبدالرزاق الحميري قوله انها من (برج) العربية . وكنا برهنّا على ذلك في موضوع « دخيل ام أثيل » ــ [(اللسان العربي) ، العدد السابع ــ ج١ ــ ١٩٧٠ ، ص ٢٤ ، تحت مادة : البرص)] . وقد تطورت في الاوربيات الى bourg و bourough .. وتظهر في الايطالية مع اداة التعريف العربية albergo بمعنى الفندق .

و (البرج) بالعربية : القصر ، الحصن ، على تعبير المعجم اي نفس المعنى الالماني . وقد اطلقوها على كل بناء مرتفع مثل (برج بابل) ، وحديثا : (برج ايفل) . وكان اول معناها حسبما يلهمنا التأثيل اللغوي الجزء الناتيء المرتفع في الحصن لمراقبة الاعداء ، ثم صار يعني الحصن تعميما ، ثم القصر لان قصور الملوك كانت قلاعا يحتمون بها وبهذا المعنى دخل اوربا في القرون الوسطى فيما يظهر فأطلق على القلعة والقصر كذلك ، ثم على مجتمع البيوت ثم القرية ثم المدينة .

والامثلة كثيرة من اسماء المدن المنتهيــة بكلمــة bourough او burg ... ومنهــا فــي الفرنســية bourgeois : مواطن مدينة ، ثم bourgeoisie : برجوازية ـ الكلمــة التي اصبحت عالميــة .

ويقول الناقد « تشترك الكلمتان العربيــة (برج) و الالمانية burg بمعنى الحصن (انظـر القاموس « برج » ١٧٨/١) ولكن العربية اوســع معنى . وقد عدها الاب نخلة من الكلمات اليونانية واصلها (pirghos) وهي دخيلة على العربيــة (انظر اللسان العربي المجلد السابع الجـزء الاول ص ٢٤ الرباط ١٩٧٠) .. »

فاولا لم يحاول الناقد الفاضل تعليل وجود الكلمة في اللغتين بمعنى واحد . ثانيا ما قصــده بالقول ان العربية « اوسع معنى » ؟ هل يعد هــذا دليلا (علميا) يبرر انكار الصلة بين الكلمتين ؟ .. مع اننا راينا مرارا ان المعنى لا يتوسع فقـط بل وكثيرا ما يتطور الى معان بعيدة واحيانا مناقضة . ثالثا انه يحيلنا على القاموس ويسجل لنـا المادة اللغوية والجلد والصفحة ـ لتأييـد كلامــه واذا بالقاموس يؤيد لنا ان البرج هــو الحصـن اي كالالمانية . رابعا ان قوله بأن العربية اوسع معنى اعتمادا على القاموس مناف لواقع الامر لان القاموس لا يقول عن البرج سوى انه (الركن والحصن) فلم نفهم المقصود من كون هذا اوسع معنى من (القصر والقلعة) بالالمانية . خامسا ان قول الاب رفائيـل نخلة انالكلمة منالیونانية لايعد حجة ، لان واجبنا الذي نضطلع به هو تمحيص ما قال اللغويــون لا التسليم به على علاته ، وما يتكامل البحث اللغوي الا بالتدقيق والتصحيح جيلا بعد جيل . سادسا ، وهنا النكتة الكبيرة ، ان المصدر الذي يستشهدبه من (اللسان العربي) هو نفســه المصدر الـذي استشهدت به انا نفسي آنفا ، وهو مقالي الـذي برهنت فيه على عكس ادعائه ، اي على عروبــة (البرج) وفندت مقالة الاب نخلة . فمـا جدوى براهيننا اذن مع ناقدنا الكريم ؟ واذا كان يحاجنا ببرهاننا يتخذه دليلا على صحة عكس راينا ، فكيف نتفاهم ؟ ... باية لغة ؟ .. باي مقياس ؟ ترى هل الناقد الفاضل جاد في نقده ؟

الكلمة دخلت اوربا على عهـد الكنعانيـين او حوالي ذلك ، لانها بنائية حضارية ويســتبعد ان تكون من لغة الآريين .

١٩ ـ chaos : فراغ ، فوضى

اخذها الاستاذ الحميري من معنى الفوضى فقال انها من (هوشة) .

ونحن نتفق مع الناقد المفضال في رفض ذلك . لكن الكلمة مع هذا من العربية اثلا ، اي من كلمــة اخرى تعني الفراغ وهي (خواء) . لان الفراغ هو اصل المعنى . يقول (.Oxf) في تعريف chaos انها « الاولي العديم الشكل » .

وقد اخذتها اللغات الاوربية المعاصرة بنصها هذا عن اللاتينية وهذه عن الاغريقية (xaos) وكان معناها البسيط هو الفراغ والخلو ، ثم لمـا ظهرت الفلسفة عند القوم اطلقوها على فراغ الكون قبل تكوينه ، ثم افترضوا ان ذلـك الفـراغ كانت تحتلهمادة اولية هائمة لا شكل لها سموها (هَيُولى) منها نشأ معنى الفوضى .

واذا كانت اللغات الاوربية تنطق الكلمة بالكاف (كاؤوس) فان الاغريق كانوا ينطقونهــا كالعرب بالخاء : xaos (خاؤوس) .ومعلوم ان السين (s) زائد ، وصلب الكلمة هو xao : خاؤو . وهي الطريقة التي بها نطقوا وكتبوا كلمة خواء .

٢٠ ـ dreck : قذارة ، نجاسة

الاستاذ الحميري : انها من مادة (ذرق) .

لكن الناقد الفاضل رفض ذلك بالرغم من انه ذكر ان من معانيها : القذارة والبعر . يقول انهــا « جرمانية عامة كانت في اللغة الفصحى للعصــور الوسطى : drec وفي الجرمانيــة الفصحــى : قاذورت ، وفي السويدية track : نجاسة » .

فهده قرائن غير قليلة الاهميــة يكتفــي اللغويون بأقل منها في كثير من الاحوال ، لا نقــول للجزم لكن لترجيح كون الكلمة قد تــربت الــى الاوربيات من (ذرق) الطائر .

اما قوله ان « جذور الكلمة الآرية (s)ter وسخ وهي من اللاتينيــة stereus وفي اليونانية sterganos » فالاغلب ان الكلمة تُسِمّتْ بالسـين في اولها بهاتين اللغتين فاذا حـذفنا السـين بقـي tereus و terganos وهما اقرب الــى (ذرق) .

نحن لا نصر علــى ان dreck الالمانيــة واخواتها الاوربيات من (ذرق) العربية ، لكننــا لا نجد مانعا من امكان ذلك .

يقول ساخرا : « والسؤال ما هي الضرورة الحضارية الملحة التي دعت اللغة الالمانية ان تستعير كلمة « ذرق » من اللغة العربية ولشيئين مختلفين ؟ ثم ما الذي اعجب الالمان في هذه الكلمة ؟ »

لم يقل احد ان الالمان ذهبوا الى السوق العربية فابتاعوا ما (اعجبهم) من الالفاظ وانما هي لغة القوم اصلا ، او اقتباسا بالمخالطة الدائبة ، او هجرة قبيل من العرب اختلطت لغتهم العربية الجديدة بلغة الجرمان ، اي العربية المغتربة . لقد اعجبهم ما اعجب اسلافهم الجرمان القدامى حين اخذوا fulida من fulytha بلغة السكسون وهم جرمانيون ايضا ، بنفس المعنى اي القذر والنجس من (ثفل) العربية .. وهي filth بالانكليزية .

اما تغير المعنى قليلا من الذرق الى القذر في (dreck) فيشبهه في العربية مثلا تغير معنى (الزبال) ـ كالحصان او الغراب ـ اي : ما تحمله النملة بفمها ، الى معنى الزبل المعروف من سماد وروث ونفايات .

بل ربما كان (القذر) مشتقا من (الذرق) نفسه في العربية .

٣٤ ـ ebbe : جزر (اي انحسار الماء)

يقول الاستاذ الحميري انها من « آب بمعنى رجع » . ونزيد على ذلك ان فعل (آب) له صلة وثيقة بالماء في العربية (مغامرات / ٢٠٧ ـ ٢١٠) وان (الآب) كان يعني الماء بالعربية ذات زمان كما نعتقد ، وهو من الاباب : الماء والسراب ، ومنه العباب : معظم الماء ، ومنه . بالبابلية (ابوبي) : طوفان : وندرج اعتراض الاستاذ الناقد بنصه نموذجا من طريقته في النقد :

« ٣٤ ـ Ebbe ابه . الجزر . جزر البحر . رجع الى الوراء (H. 191) اخذتها الالمانية في حوالي ١٦٠٠ م من اللغة الهولندية واصلها من اللهجة الفريزية (شمال المانيا) : ebba وقد انتقلت الى اللغة الهولندية العامية ebbe وهي في الانجليزية Ebb والكلمة جرمانية غربية (Et. 125) فهي ليست من (آب) العربية بمعنى عاد لان الجزر ذهاب الماء وليس ايابه » .

فاولا : اي شيء في كلامه هذا يمنع ان تكون ebbe من (آب) ؟ ثانيا : ما قصده من القول ان « الجزر ذهاب الماء وليس أيابه » ؟ فهذا عكس الواقع لان الجزر عودة الماء الى حالته الطبيعية . الا اذا افترضنا أن المد الناشيء من جاذبية القمر الموقتة حين يواجه الساحل ـ هو الحالة الطبيعية . وثالثا : كيف لا يكون الجزر اياب الماء وقد ذكر هو ان من معاني ebbe : جزر البحر والرجوع الى الوراء معا ؟

٤٠ ـ einzaunen : سيّج (احاط بسياج)

قال الاستاذ الحميري ان معناها : (سيّج ، حوّط ليصون الشيء وهو من (صون)) .

لكن الناقد الفاضل عارض ذلك مع اعترافه بانها تنطق بالصاد (آين صونن) وان مصدر الفعل zaun مصدر جرماني عام ، وانه بالهولندية tuin (حديقة) وبالايسلندية القديمة tun (ارض محاطة بسياج ، بيت) . ثم هو يستنتج من هذا ان الكلمة ليست من (صون) العربية ، وحجته ان « صان يصون الشيء : حفظه ، والثوب والعرض وقاهما » .

الكلمة الاوربية تتضمن كما رأينا معاني السياج والحديقة والدار ، وهي معان متلازمة نشأ بعضها من بعض . وعلى نفس الغرار نجد (الحائط) بالعربية صار يعني البستان لانه يحيط به ، وصار قولك (حاط شيئا) يعني : « حفظه وصانه وتعهده » على تعبير القاموس . وفي الفارسية (حَياط) ـ بالفتح ـ تعني ساحة الدار . فلو اتبعنا طريقته في الاستدلال لجاز لنا القول ان ساحة الدار لا علاقة لها بمادة حاط (لان حاط يحوط الشيء تعني حفظه وصانه وتعهده) .

ونلاحظ كلمة (صانه) هنا في تعريف فعل حاط ، التي استعملت في الجرمانيات بمعنى السياج الذي يقابل الحائط من البستان والدار ..

٤١ ـ eitel : مغرور . فارغ . مجرد(١٥)

الاستاذ الحميري : من (عاطل)

لكن الناقد يرفض ذلك .

وبعد ان يستعرض صور الكلمة في بعض اللغات يقول : « ومعنى الكلمة الاصلي : فارغ . بلا مضمون . اعزب . لا شيء . ثم اطلقت على صاحب العجب . صاحب الزهو (Et. 132) .. اما idle الانجليزية .. فقد اكتسبت دلالات جديدة

---

(١٥) Stand.

هي : كسلان بلا عمل . بطال . تافه . عقيم .. ولكن هذه الدلالات الجديدة لا تعني ان اصل الكلمة عربي » .

ولا نعرف من اي مصدر علم ان هذه الدلالات جديدة في الانكليزية ، مع انه يكثر من ذكر المصادر بلا ضرورة احيانا ، وقد طالبنا بها قبل ، ومع انه قال هو انفا ان « ان معنى الكلمة الاصلي : فارغ بلا مضمون . اعزب . لا شيء » .

واذا نحن تتبعنا معنى الكلمة في العربية وجدنا ان هذه اللغة الام هي المصدر لا لمعنى واحد من المعاني الاوربية بل لها جميعا ، اى ان الكلمة دخلت اوربا متعددة المعاني بعد اجتيازها عدة مراحل عربية . من ذلك ان العاطل تطلق في الدارجات — ولاسيما السورية — على الكسلان وعلى الرديء شخصا كان او شيئا . وهي في الفصحى ايضا تعني الفارغ ومن ذلك (التعطيل) : التفريغ والاخلاء ، وترك العمل ضياعا (قاموس) . وكذلك تعني البطالة في صيغة تعطل فلان : بقي بلا عمل . واما العجب والزهو فمن عطل المراة لان (العطلاء) من النساء هي : « التي لا حلي عليها » وقد كان ومازال بعضهن يتعمدن (العطل) ليظهرن انهن مستغنيات بجمالهن عن التجمل بالحلي ومن هنا صارت (الغانية) تعني « المراة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة » . من آثار هذا المعنى في مادة (ع ط ل) نفسها (العَطلة) من الابل : الحسنة الجسم ، و (العيطل) : « الطويلة العنق في حسن جسم » ، وهذا منشؤه عطل العنق من القلادة ، ثم صار (العيطل) : « كل ما طال عنقه » (قاموس) . تطور آخر .

وردت eitel في الجرمانية الفصحى القديمة بمعنى فارغ ، عقيم وفي السكسونية :
idal : فارغ ، تافه .. لكنها في الانكليزية
idle (آيدل) : فارغ ، تافه ، عقيم ، بطال ، وهذا منشؤه عَطلُ العنق الجميل من القلادة ، ثم كسول (Oxf.) اي مثل معانيها العربية . حتى (الاعزب) في بعض الاوربيات — آنفا — الذي يعني : بلا زوجة ، يشبهه في العربية (العَطَل) — بالتحريك — بمعنى الخلو من اي شيء ، مثل ابل معطلة : لا راعي لها .. و « الاعطال من الخيل والابل : التي لا قلائد عليها ، ولا ارسان لها ، والتي لا سمة عليها ، والرجال لا سلاح معهم » . و « عَطِل — كفرح — من المال والادب : خلا » .

ان معاني الكلمة بالعربية اكثر تطابقا مع مجموعة المعاني الاوربية من تطابق بعض الاوربيات مع بعضها .

٤٩ — fressen : اكل

الاستاذ الحميري : « تعني يفترس ، يلتهم ، ولاسيما للحيوان وهي من افترس » .

يرد الدكتور سودان عليه ذلك لانها تعني الاكل (خاصة بالحيوان) ولان الفرس والافتراس يعنيان دق العنق والاصطياد . وهو محق في هذا ، لانه يظن ان افتراس السبع لحيوان لا يشمل الاكل . والعتب على المعاجم العربية التي لا تستوفي المعنى ، فكل ناطق عربي — عدا مؤلفي المعاجم وناقدنا الكريم — يعرف ان الافتراس هو الفتك بالفريسة قتلا واكلا ، ولا يقال افترسه السبع اذا (قتله) دون ان يأكله .

وذكر الناقد الفاضل من بين الكلمات الاوربية المقارنة fret بالانكليزية : اكل ، التهم — لكنه لم يذكر انها من fretan في الانكليزية القديمة التي تعني كذلك : قرض ، قضم (Oxf.) .

واذا ربطنا الكلمة بقريباتها الاخريات في الانكليزية وجدنا ان صيغة fresser تعني : الاكول الشره (وهي كذلك في الالمانية ايضا) ، و feral و ferocious تعنيان : المفترس والوحشي والكاسر ، ومثلها في اللاتينية feroci و ferox . وقريب من ذلك في اللاتينية ايضا ferus : حيوان وحشي — (Cassell) .

اما انتقال معنى الافتراس من الاصطياد الى الاكل في الالمانية وغيرها فامر طبيعي ، من باب تسمية الشيء بغايته ، ولهذا تخصصت بعض الالفاظ المشتقة منها بالقتل وبعضها بالاكل والشره . وواضح ان معنى الشره قد جاء من التشبيه بأكل السبع فريسته .

واقولها مرة اخرى : ان كتب السلف نسترشد بها لكننا لا نعبدها . ومؤلفو المعاجم من القاموس وغيره لا يضبطون كل اللغة بل جمعوا ما سمعوه من الثقات شان جامعي (الحديث) . وما كان مؤلف معجم ليثبت المعنى الذي يعرفه شخصيا من مطالعاته أو من حديثه اليومي وانما يقتصر على ما يسمعه من شيخه او من الاعرابي فلان . فلهذا لا نجد في مادة (فرس وافترس) نصا يعني الاكل ، ولو انه مفهوم ضمنا ، يجري على السنتهم وفي شذرات من كتب اللغة . من ذلك مثلا اجتماع

القتل والاكل في قول القاموس نفسه (مادة هرس) : الهراس ـ كغراب وكتان ، والهَرِس ككتف ، والاهرس : « الاسد الشديد الكسر والاكل » . كما ان (سؤر الاسد) لقب اطلقوه على ابي خبيئة الكوفي « لان الاسد افترسه فتركه حيا » ـ قاموس (سأر) . والسؤر هو الفضلة والبقية من اي شيء ، وكثيرا ما تستعمل لما يبقى في الاناء من طعام او شراب . اي كأنما (اكل) الاسد ابا خبيئة وترك منه بقية . فالاكل قرين الافتراس في كل الاحوال .

٥٠ ـ frist : ميعاد ، اجل

الاستاذ الحميري : انها من (فرصة) .

الناقد الفاضل عارض ذلك ، وبعد أن قال ان معناها انما هو ميعاد ، اجل ، وقت محدد ، وذكر ان frist وردت في الانكليزية القديمة والسويدية والجرمانية الفصحى القديمة بالاضافة الى vrist في الجرمانية الفصيحة الوسطى قال انها « تعني تحديد الوقت في المستقبل لأمر ما (Et. 187) فهي ليست من (فرصة) لان هذه تعني (النوبة) وهي اسم من تفارص القوم البئر . يقال جاءت فرصتك من السقي اي نوبتك (القاموس ٢/٣١١) » .

نكتفي باجابته من نص كلامه . اليس معنى « جاءت فرصتك من السقي » هو جاء « الوقت المحدد » لك بعد نوبات الاخرين الذين تفارصوا البئر ـ اي حددوا وقتا لكل منهم ليسقى منها ؟ ان ما مر بنا من امثلة تغير المعاني في اللغة الواحدة يتطلب من كل دارس لغوي ان يتروى فيما يقرر من مثل هذه الاحكام .

وان تفنيد رايه من نص كلامه هنا وفيما بعد كما سنرى غير مرة ـ يعني ان جمع المعلومات او استقاءها من المصادر المعتمدة لايكفي ولايجدي نفعا اذا لم تصحبه دقة وصحة استنتاج . والا فان الاستشهاد بشيء هنا ينافي شيئا هناك او يناقض نفسه في مكانه ، لا ينطلي الا على ضعاف القراء .

٥٤ ـ gau : ناحية ، منطقة

الاستاذ الحميري : « من جوّ ـ مادة جواء . نزلوا جواء بني فلان اي وسط بيوتهم ، واقمت في جو اليمامة اي في وسطها » .

يذكر الناقد الفاضل صيغا لها مثل gou في الجرمانية الفصحى القديمة بمعنى المنطقة الزراعية ، و gawi في القوطية ، و ge في الانكليزية القديمة .. ويرجعها الى اثل جرماني هو gaawja : ارض قرب الماء . ويقول بناءا على ذلك « فهي ليست من (جو) العربية ، لان هذه تعني مابين الارض والسماء ، ما اتسع من الاودية ، البرّ الواسع ، الهواء ، ما انخفض من الارض (القاموس « جو » ٤/٣١٤) » .

هنا ايضا نكتفي بالرد عليه من نص كلامه فهو يقول ان من معاني الجو : ما اتسع من الاودية ، والبر الواسع ، وما انخفض من الارض . افلا يرى علاقة معنوية بين هذا وبين « المنطقة الزراعية » في الجرمانية الفصحى القديمة و « الارض قرب الماء » في الاثل الجرماني آنفا ، ولاسيما ان سيدنا القاموس (قدّس سره) يذكر من معاني الجواء (ككتاب) انه : ماء بحِمى ضَرِية ـ زنة قضية ـ وان جاوى إبلا : دعاها الى الماء .. وان الجِيّة ـ بكسر فتشديد ـ هي الموضع يجتمع فيه الماء ؟

ولنتذكر انها في الالمانية الحاضرة انما تعني الناحية والمنطقة بلا زراعة ولا ماء ، كما في بعض تلك المعاني العربية ولا يبعد ان يكون هذا المعنى اصيلا تحدّر من لهجة قديمة ، وان الزراعة والماء طارئان على معنى الكلمة في بعض الاوربيات القديمة .

ثم ان مطالبته بتطابق المعنى العربي مع اللغات الاوربية لا يتفق مع منطق البحث اللغوي . وهو يلاحظ تطور المعنى بين اللغات الاوربية نفسها ، بل وفي اللغة الواحدة هي العربية ذاتها ، من : الهواء ، الى الوادي المتسع ، الى المنخفض من الارض ..

ان علم « السيمة » اللغوية (cemantics) الذي يترجمونه احيانا « علم دلالة الالفاظ » يقوم بجملته على تتبع التطورات التي تعتور (معاني) الالفاظ ودراسة اسبابها وانواعها . فهل معنى هذا ان ناقدنا الكريم ينكر ـ وحاشا ان نقول يجهل ـ هذا العلم كما ينكر علينا « علم الترسيس » (= علم تطور الالفاظ والمعاني واعادتها الى جذورها الصوتية الاولى) ؟

٥٨ ـ geld : نقـود

الاستاذ الحميري : « من الجلد ، فمن المعروف ان الجلد كان يمثل النقود في عهود المقايضة » .

يرد الناقد الفاضل انها « كانت في اللغة الالمانية الفصحى للعصور الوسطى gelt ومعانيها دفع .

تعويض . راتب . راتب التقاعد . تسليم . المطالبة بالديون . قيمة . سعر » .. كما ذكر انها وردت بنصها geld في الجرمانية الفصحى القديمة بمعان مقاربة ، وفي السكسونية بمعنى تعويض . دفع . قربان (ضحية) ، وفي الانكليزية بصيغة gield قربـان . دفع . صفة ربانية .

ثم قال انها « جرمانية عامة تعني في الاصل : الدفع . العطاء . القربان . الضحايا الدينيـة او الشرعية . وكانت تستعمل بمعنى الدفع او تقديم الواجب . ومنذ القرن السابع عشر ، استعملت بمعنى النقد (Et. 207.208) فالكلمة ليست من (الجلد) العربية ، والمقايضة كما نعلم هي تبـادل الاشياء بما يقابل قيمتها ولا ندري في اي عهود كانت الجلود اغلى ما يملك الانسان ؟ ومتى استعمـل العرب الجلد او اسمه بدلا من النقود ؟ ثـم لماذا تستعير اللغة الالمانية هذه الكلمة من اللغة العربيـة وتترك اسماء النقود العربية ؟ »

هذه المنقولات المطولة عن المعجم من الصيـغ ومعانيها في مختلف اللغات صحيحة ، لكن المحاجة والاستنتاج من قبله سلسلة من الهفوات الخارجة على منطق البحث اللغوي خاصة ، والبحث العلمي عامة ، وكل بحث ومنطق بوجه اعم . فأولا لم يقل الاستاذ المنقود أن الجلود كانت « اغلى شيء يملكـه الانسان » ، كما انه ثانيا لم يقل أن العرب هـم الذين استعملوا « الجلد او اسمه بدلا من النقود » . وثالثا ان سؤاله « لماذا تستعير اللغة الالمانية هـذه الكلمة من العربية وتترك اسماء النقود العربيـة » يناقض قوله ان الكلمة صارت تعني النقد في اوربا منذ القرن الـ ١٧ » .

والعلاقة بين القربان وجلده لا تحتاج الى طويل بيان . فقد اطلقوا الجلد على الذبيحة فيما يظهر من باب تسمية الكل باسم الجزء . والعربية توضح لنا هذه العلاقة امتع ايضاح ، فتقول ان (القربان) : ما يُتقرب به الى الله تعالى . ونجد منه (القربة) : جلد الذبيحة المدبوغ يتخذ وعاء للماء او اللبن .

ونموذج آخر تعرضه العربية مـن اطـلاق (الجلد) على صاحبه ، وهو (البَشَرة ، والبَشَر) : « جلد الانسان ، وقيل وغيره » ـ قاموس . ثـم صار (البشر) يعني الانسان (على جلالة قدره) .

فاذا نحن رتبنا المعاني التي تفضل الناقـد بذكرها ، ترتيبا تطوريا منطقيا بحسب تدرج نشوء بعضها من بعض يكون اول معاني geld هو الجلد ، ثم البهيمة صاحبة الجلد التي اعتادوا تضحيتهـا لآلهتهم . ثم القربان الديني ، ثـم اداء الواجب المفروض (للالهة او المعبد) ، ثم المطالبة بالديون ، ثم الدفع [والاصح : الاداء] ، ثم التسليم ، ثـم التعويض (لانه واجب الاداء) ء ثم الراتب ، ثـم الراتب التقاعدي ، ثم النقد الذي به يدفع الراتب .

هذا او شيء من قبيله هو الترتيب المقـول لظهور معنى النقد في الجلد . ولا نقصد ان هـذه المجموعة من المعاني قد تكونت في مكان واحد ، بل لابد انها قدتعاورتها لهجات ولغات فيامكنة مختلفة وازمنة مختلفة حتى كانت الحصيلة هذه السلسلة .

٦١ ـ gut : جيـد

هذه الكلمة ذكرها الاستاذ الحميري باعتبارها من القوت والجودة في العربية . ونحن نؤيد الناقـد الفاضل على عدم علاقتها بالقوت لكننا نؤيد القول بأنها من الجُود والجُودة (وكلتا هما بالضم) . انه استعرض عددا من الصيغ التي وردت بها الكلمة في لغات وسطى وقدمى ، ثم قـال « ويلاحظ ان الكلمات الالمانية متشابهة في المبنى والمعنى لانها ذات اصل جرماني واحد ولكن الكاتب الفاضل ـ يقصد الاستاذ الحميري ـ أرجعها الى اصلين في اللغـة العربية مختلفين هما جودة وقوت » .

ليأذن لنا ان نلاحظ نحن ايضا ان gut بالالمانية و good بالانكليزية اقرب الى (الجود) العربية « في المبنى والمعنى » منهما الى بعض الصيغ الاوربية التي عدّها من (اصل) واحد مثل gittar (سـياج) و gatte (زوج) ghedh : (ضبط ، تثبيت ، ملاءمة ، مسك) . فلماذا يقبل ان gut الالمانية و good الانكليزية مـن اخـوات gittar (سياج) على بعد المعنى ولا يقبل ان تكون good من (جود) و (جودة) مع تطابق المعنى ؟ مرة اخرى اسأل : كيف نتفاهم ؟ باي منطق او « مناهج علمية » ؟

انا ايضا كنت أثلت (good) من الجود (مغامرات /٢٤١) ومازالت مقتنعا بذلك التأثيل . ونذكر لمجرد لفت النظر الى ما تتعرض له الالفاظ من تحريف : goor في النورسية بمعنى السـار والمفرح ، و gadnyi في الروسية بمعنى المناسب .. والمعنى في كلتيهما اقرب على كل حال من معاني بعض الالفاظ التي استشهد بها الناقد الكريم .

ومما يدل على أثالة gut (جيّد) فـي الالمانية انها سبق أن وردت بصـيغة gout في الجرمانية الفصحى القديمة .

ومن العجائب اللغوية ما ذكرتني به good الانكليزية وهو انها وردت بالشومرية بنفس معناها ومبناها لكن مقلوبة : dug ! ولولا اني وجدت في مختلف المناسبات مشابهات تستدعي التأمل بين الشومرية والعربية لقلت انها من المصادفات .

اثل الكلمة فيما نعتقد على اية حال من (الجود) اي الكرم و (الجودة) ـ بالضم او الفتح : ضد الرداءة .

ولفظ الجود اثلة فعل (جَدَّ) : قطع ، اي اقتطع شيئا من ماله او طعامه لغيره (وشبيه بذلك الفضل والفضيلة ، من معنى الفضل والفضلة) . و (الجدّ) اثله (قد) وهذا من (قط) ، فيكون ترسيس gut الالمانية شيئا من هذا القبيل :

قط ـ قد ـ جد ـ جاد ، جود ، جودة ـ good بالانكليزية ـ god بالسكسونية والفريزية القديمة ـ guot بالجرمانية القديمة gut بالالمانية الحديثة .. علاوة على dug بالشومرية .. فيا سبحان محوّل الاحوال .

ونسأل ناقدنا الكريم : هل في مذهبه اللغوي ان هذا تقليد لخزعبلة (فوكس) ؟

٦٢ ـ haar : شعر

الاستاذ الحميري : من (شـعـر) .

يرد عليه الدكتور سودان وهو مصيب بأن الكلمة وردت في المانية العصور الوسطى والقديمة : hār ، وفي الهولندية haar ، في الانكليزية hair .. « وترجع الكلمة الى الجرمانية hera : شعر وهذه ترجع الى الاصل الآري Kers بمعنى : صلب . تشدد . توتر . خشن . انتفش (Et. 241) . فالكلمة ليست من « الشعر » العربية . ولا يكفي وجود حرف الراء في آخر كل من الكلمتين الالمانية والعربية للبرهنة على ان الثانية اصل الاولى » .

نعم ، انها ليست من الشعر حقا . لكن هل لها اثل عربي آخر ؟

معجمنا يقول انها « من اثل مجهول . ولا توجد كلمة هِنْدُورُبِيَة مشتركة للشعر » . ولا نتفق معه في اليأس من البحث ، فقد ذكر المعجم نفسه في مكان آخر ان harsch في الجرمانية العامية المتوسطة تعني الخشن المُشْعِر ، وهو يحسبها من haer فيها ، بمعنى الشعر (Oxf: harsh) . ونحن نظن العكس اي ان harsch هي اثل haer لاننا نعرف نسب الاولى في العربية ولا نعرف ولا يعرف المعجم للثانية نسبا في اية لغة . واصل معنى (harsch) هو الخشن ثم اطلق على المشعر لخشونته ، وبعد ذلك ظهرت منها صيغة haer وغيرها من الصيغ الاخرى التي اختصت بالشعر . دليلنا على ان اصل معنى harsch هو الخشن يقدمه لنا اثله العربي وهو (الحَرِش) ـ بفتح فكسر ـ وهو الخشن ، ضد الاملس . والكلمة عدا فصاحتها مستعملة في الدارجة المغربية بنفس هذا المعنى .

وسيأتي الكلام (في القسم الرابع) عن (harsch) بالالمانية ايضا بمعنى الخشن وتناظرها بالانكليزية harsh بمعناها .

٦٣ ـ hader : شجار . نزاع

الاستاذ الحميري : « من هدر الفحل هدرا »

قال الناقد الفاضل ان معناها : « منازعة ، شجار . خناق ـ كذا ـ وكانت في الالمانية الفصحى للعصور الوسطى hader نزاع (على الحقوق) وهي من الكلمة الجرمانية hapu » ـ لعله خطأ مطبعي صوابه : hadu ـ « وترجع الى الاصل الآري katu : منازعة » .

وقد استنتج من ذلك انها ليست من هدر البعير . لماذا ؟ يقول : « لان هدر الحمام : قرر وكرر ، وهدر البعير : تردد صوته في حنجرته القاموس « هدر » ٢/١٥٩ اساس البلاغة ٢٩٧)» .

فقبل كل شيء ان نص القاموس الذي اشار اليه هو «هدر البعير : صوت في غير شقشقة » واما « تردد صوته في حنجرته » فقد نقله ناقدنا الكريم من معجم آخر . كذلك يقول القاموس « هدر الحمام : صوت » .. اما « قرر وكرر » فمن معجم آخر ايضا ، كما ان « قرر » خطأ مطبعي فيما يظهر ، صوابه : « قرقر » .

لكن ما الـذي يمنع ان ينبط معنى النزاع والشجار من هدير البعير او هدير الحمام اي قرقرته وتكريره ؟ وما اكثر ما سمعنا من يقول عن مخاصمه انه يقرقر ، او يهدر ، او يهذي ، او يلقلق ، ، او ينقنق ... بالدارجات . وفي الفصحى الهذر والاهذار (بالمنقوطة) : التخليط والتكلم بما لا ينبغي . ومن هَذَرَ يهذر نشأت هَذَى يهذي هذيانا : تكلم بغير معقول لمرض او غيره .

ومن هذه الفصيلة ايضا (الهتر) بالفتح : مَزْق العرض ، و (الهُتْر) بالضم : ذهاب العقل

من كبر أو مرض او حزن ، وهاتره مهاترة : سابه ـ بالتشديد ـ بالباطل . والمهاترة منبع آخر لمعنى المنازعة والمشاجرة . والظاهر ان هذا المعنى كان في الكلمة العربية منذ دخلت في الاوربيات بصيغة هَدَر او هَذَر (بالمهملة أو المنقوطة) .

٦٧ ـ hart : صعب ، شديد ، صلب

الاستاذ الحميري : « من حرد » .

اعترض الناقد وعدد صيغا لها في لغات اخرى اهمها hard في الانكليزية والسكسونية والسويدية ، و herte في الجرمانية الفصحى القديمة ، و kratys في اللغات (الهندوربية) الاخرى . ويضيف معجمنا kratus (Oxf.) في الاغريقية : قوي : متين .

ثم يقول الناقد وله الحق ، ان للحرد معاني كثيرة لا تتفق مع معنى الكلمة الالمانية .

لكننا نقول ان (الحرد) مفردة من اسرة عربية كبيرة تعني الشدة والتمزيق والخشونة والخدش .. مثل الحَرْت (بالفتح) : الدلك الشديد ، كما ان (الحرد) نفسها : الغضب . ثم الهَرْت : الطعن والتمزيق ، والهَرْد : التمزيق والتخريق ، والهَرْس : الدق العنيف ، والحَرْش (كالحرب) : الخدش ، والحرش (كالشرس) : الخشن ، والاهرس : الشديد الثقيل . ومن اقاربها : هرا البرد فلانا : اشتد عليه .. وهرت لحما : انضجه وبالغ في طبخه ، وثوبا : مزقه .. وهرد شيئا : مزقه وخرقه ، ولحما : طبخه حتى تهرأ .. وهرزه : غمزه شديدا .. وهرس ، وهرض ، وهرط ...

فليس بمستبعد ان تكون hart الالمانية وغيرها من الصيغ الاوربية المختلفة متولدة من هذه الطائفة العربية .

٦٨ ـ haus : دار ، منزل

ذكر الاستاذ الحميري انها من (حوش) . لكن الناقد المفضال اعترض عليه قائلا انها « ليست من (حوش) لان الحوش شبه الحظيرة وهي كلمة عراقية (انظر القاموس) » .

هذا يقوله مع علمه بكثرة تطورات المعاني التي مرت بنا نماذج منها ، وكما سنرى ايضا مثل تطور الارس الى ارض ، وارّ النار الى الحرث ، والثلج الى هلام ، والقرض الى تحيّة ، والقَط الى قطيع .. فما المانع ان يتطور معنى (الحوش) من شبه الحظيرة (على قول القاموس) الى المنزل ؟

اما ان الحوش يعني الدار ، لا بالفصحى ، بل بالعامية فقد تبين لنا في حالات عديدة ان اللفظة العامية واحيانا الاعجمية ، اعرق في العربية من الفصحى التقليدية .

ومن اخوات الحوش في العربية : الحوز والحوض والحوط والحوف والحوق والحول ، وكلها يعني الاحاطة بالشيء او نحوا من ذلك

هذا ولا ننسى ان المعجم العربي (معجم بدوي) لا مدني ، لان جامعي للغة اقتصروا على لغة الاعراب البداة ، وعزفوا إلا عن لغات الحضر المتمدنين فقط بل وعن لغات البدو المشبوهين لغويا بسبب قرب ديارهم من الاعاجم او مخالطتهم حتى الحواضر العربية . وهكذا احالوا الينا لغة عربية خالصة لكنها جد ناقصة . ولولا ديوان العرب ـ الشعر ـ الذي سجل الكثير وصانه لضاع علينا من هذه العربية اكثر مما ضاع .

موضوعنا ..

ان كلمة (حوش) بمعنى الدار في الدارجة العراقية لم تعجب المعجبين لعاميتها ، أو لانهم لم يحيطوا بها علما في الفصحى ، واكتفى الفيروزابادي بمعنى (شبه الحظيرة) الذي كان شائعا في فصحى العراق على ما يظهر .

ومن الغريب ان يقول ناقدنا الكريم ان صيغ haus الالمانية و house الانكليزية و hūs في القوطية وفي الجرمانية الفصحى للعصور الوسطى والقديمة « ترجع الى الاصل الآري skeu بمعنى يغطي ، يستر » .. فيقبل بهذه الصلة البعيدة في المعنى والمبنى ليبرر بذلك رفضه الصلة بين (هاوس : haus) و (حَوْش) بالرغم من اتفاقهما التام معنى ومبنى . فليتنا نهتدي الى معيار يمكننا التفاهم به على ما هو خطأ وما هو صواب في البحث اللغوي ، معه ، هو الذي اخذ على نفسه ان يصحح بمنهجه (العلمي) هذا منهجنا غير العلمي .

حتى اذا افترضنا اننا لم نجد بالعراقية ان الحوش يعني الدار ، افلا يجوز ان يتطور معنى (شبه الحظيرة) الى معنى الدار ؟ لقد ذكر هو حين تحدث عن السياج (في رقم ٤٠ آنفا ان tuin بالهولندية تعني الحديقة وان قرينتها tūn بالايسلندية القديمة تعني (الارض المحاطة بسياج

وألبيت معا) . الارض المحاطة بسياج حظيرة . فهل يجوز ان يتحول السياج الى بيت والى حديقة ولا يجوز ان تتحول الحظيرة الى بيت ؟

٧٠ — herb : حامض ، حرِّيف

نفى الناقد قول الاستاذ الحميري انها « من الحرف اي الخردل أو من مادة حرب . حرب الرجل اي غضب واحتد فهو حرب » .. وقال هو انها في الانكليزية harsch (الصواب انها كذلك بالالمانية اما بالانكليزية فهي harsh) ، وانها كانت في فصحى المانية العصور الوسطى hare و hareuer ، وان اللغويين الالمان مختلفون في اصلها (اثلها) ويعتقد بعضهم انها من الفعل sker : يقطع ، قاطع . ثم هو يقول « ولكنها ليست من (حرب) لان حَرِب الرجل : كَلِب واشتد غيظه ولا تتفق معهما مبنى او معنى »

فاولا ان herb الالمانية وحرب العربية تعتبران متفقتين مبنى ، لان الاوربيين لا ينطقون صوت الحاء ، كما ان الابدال شائع حتى داخل اللغة الواحدة كما هو معلوم ، ويعد هذا من الفباء علم اللغة .

وثانيا ان herb الالمانية التي تعني الحرِّيف (كالسكِّير) اقرب معنى الى (الحرف) الذي يعني حب الخردل بسبب حرافته ، ومنه صيغ (الحرِّيف) .

ثالثا ان صيغة hare و hareuer في جرمانية العصور الوسطى اقرب الى (حار) و (حَرُور) ، ومعلوم ان بعض الدارجات ، ومنها العراقية والمغربية ، تستعمل (الحار) بمعنى الحرِّيف . فكأن كلتا الصيغتين العربيتين (الحار) و (الحرف) انتقلتا الى الجرمانيات ، ما يدل على انهما من لغة قوم هاجروا بعد تطور لغوي راق لعله لم يكن في الهجرات الآرية الاولى . ونذكر بالمناسبة ان الخردل اي لفظة (الحرف) من معنى (الحرّ) ولفظه .

رابعا صحيح ان المعاجم تضع harsh الانكليزية مقابل herb الالمانية لتقارب معنييهما ومبنييهما ، لكننا نعتقد ان harsh الانكليزية تقابلها بالدقة harsch في الالمانية ، ولها اثل عربي آخر . وسياتي الكلام عليها في مكانها الالفبائي .

خامسا لا نرانا نتفق مع اللغويين الاوربيين القائلين ان herb ترجع الى الاثل الالماني sker (قطع) لاختلافهما معنى ومبنى . كما ان لكلمة sker هذه اثلاآخر في العربية هو (صَقَر) حجرا : كسره بالصاقور اي الفاس العظيمة . هذا نقوله ولو ان قولك (صَقَرَ اللبن) يعني اشتدت حموضته ، لان sker تعني القطع ولا شأن لها بالحموضة .

٧٤ — hundert : مئة

الاستاذ الحميري : من «هُنَيْدَة» اي مئة من الابل .

بعد ان يذكر الناقد الفاضل بعض صيغها الاوربية مثل hunderod بالسكسونية و hundred بالانكليزية والانكليزية القديمة ، يقول انها كانت hund في الانكليزية القديمة والسكسونية ، و hunda في القوطية ، ولها صلة بالهندية القديمة sātam والاغريقية hekta و hektar ، واللاتينية centum — ليقول مستنتجا من هذا كله « فليست الكلمة من (هنيدة) لان (هند) اسم للمائة من الابل كهنيدة او لما فوقها او دونها او للمئتين (القاموس « هند) ٣٤٩/١ ، اساس البلاغة ٧٠٧ لسان العرب « هند » ٤٣٧/٣) فما هي الضرورة التي دعت اللغة الالمانية الى استعارة اسم عدد غير دقيق ومختلف فيه ؟ »

اي انه بعد ان يذكر (hunda) التي تدلُ بوضوح على انها من (هُنيدة) يستنتج انها ليست من هنيدة .

اولا انه يتجاهل مرة اخرى ان للكثير من الالفاظ عدة معان قد تكون مختلفة وقد تكون حتى متناقضة ، في كل اللغات . لا نعلم في اي مرجع وجد ان اختلاف معنى هنيدة بين المئة والمئتين او غيرهما يعني انها لا يمكن اقتباسها باحد هذه المعاني او ما يقاربها فان الاقتباس ليس محصورا في الالفاظ ذات المعنى الواحد المحدد .

ثانيا : انه يذكر من مصادره الآنفة « لسان العرب » (مع مادة « هند » مع رقم الجلد ، والصفحة ، على عادته) لكنه يكتم عن القراء ان (لسان العرب) يسجل ايضا : «قال ابو عبيدةهي اسم لكل مئة ، من الابل وغيرها . وانشد لسلمة بن خرشب الانماري :

ونصر بن دُهمانَ الهنيـدةَ عاشـها
وتسعين عامـا ثم قـوم فانصتا

اي عاش مئة وزاد تسعين » إه اللسان .

وبتعبير آخر كانه قال : عاش هنيدة وتسعين سـنة .

وما بنا حاجة الى لفت النظر الى ان لفظ هند وهنيدة اقرب الى hund و hunda من هاتين الى sâtam الهندية القديمة مثلا و hektar الاغريقية ، ثالثا .

اما سؤاله ــ رابعا ــ « فما هي الضرورة التي دعت اللغة الالمانية الى استعارة اسم عدد غـير دقيق ومختلف فيه ؟ » .. فليس من اسـلوب البحث اللغوي في شيء ، لان احـدا لم يقـل ان اللغة الالمانية دعتها الضرورة الى استعارة كلمة لمعنى المئة ذات يوم فنثرت كنانتها بين يديها واستعرضت المفردات في لغات البشر ، فاختارت هنيدة مـن العربية .. وانما تكون الاستعارة اما بالمخالطة واما بالهجرة وهو ما ينطبق على الحالة التي نتحـدث عنهـا .

كلمة حضارية ادخلها الكنعانيون او الآريون المتأخرون .

٧٩ ــ kabel : قلس (حبل غليظ) . سلك

ينكر الناقد الفاضل علـى الاستاذ الحميري قوله انها « من مادة ــ كبل ــ يقابلها في العربيـة حبل kabl وهو اصلها كما يعتقد المستشـرق ليتمان وبعض علماء اللغة » .

اي انه يعترف بعروبتها لكنه ينقلها من الكبل الى الحبل . غير اننا شخصيا لا نرى مانعا من ان تكون من (الكبل) الذي هـو « القيد او اعظم ما يكون من القيود » ــ قاموس . وهذا يتفق مـع معناه الاوربي (حبل السفينة ، الحبل الضخم) .

واثل الكبل (لَبكَ) امرا : خلطه ، والمعنى هنا غير متطابق او بالاحرى ان معنى القيد قـد اندثر من هذه الصيغة لكنه يكمن فيها ليظهر لنـا في اثل (لبك) وهو (ربَك) ومنها (ارتبك) الصيد في الحبالة : اضطرب . وهـذه من فصيلة ربط وربض وربق ، التي تحدثنا عنها في موضـوع (العربي)(١٦) .

فتكون قد تطورت هكذا : كرَب ــ ربَك ــ لبك ــ كبل . اما بقية ترسيسـها ففي البحث المذكـور .

٨١ ــ kalt : بـارد

الاستاذ الحميري : « من مـاء القلت وهـي العيون الباردة » .

يعترض الدكتور سودان عليه « لان القلت في الاصل نقرة في الجبل ومنها القلت : عين الماء وعين الانسـان اي الحفرة وليس الماء نفسـه ولا برودتـه » .

ولا نعلم لماذا يقطع صلة الماء بعين المـاء ثم برودته في حين ان المعاني تتنقل باستمرار بـين الشيء وما يجاوره او يتصل به . فاي مرجع من مراجعه في عالم (السيمة) يا ترى يمنع مثل هذا التنقل . وعين الماء (في الجبل) تكون باردة واحيانا شديدة البرودة مما يعرفه كل من خبَر عيون الماء في شماليّ العراق حتى في اشد ايام الصيف حرارة . نحن شخصيا لا نجزم بان الكلمة الالمانية من هذا (القلت) فليس اعتراضنا على اعتراضه ، بل على طريقته في الاعتراض . السبب هو اننا نجد لهـا اثلا آخر اقرب الى الصواب يؤيـده اسـتعراض مختلف الصيغ الاوربيـة .

يقول الناقد الفاضل ان للكلمة « صلة بالفعل اللاتيني gelār جمد وجذره gel اي برَد » .. يتخذ من هذا برهانا على خطأ نسبة الكلمة الى العربية . لكن هذا بالذات هو برهاننا على عروبتها .

ومما يؤيد صلة kalt الالمانيـة بالفعـل اللاتيني gelare : تجمَد (لا gelār كما قال ، ولعلـه خطأ مطبعي) ــ الكلمـة وردت بصيغـة goloti في السلافية القديمة (Oxf: jelly) بمعنـى gelata (جليد) بالايطالية وامثالها . فعلى هذا يرجع جذر الكلمة المذكـور (gel) الى (ژالو) الفارسية (بالزاي المثلثة) ، ومنها الـى (الزلال) العربية ــ كالذي سيأتي حـديثه في (gelee) ــ (في القسم الرابع) .

---

(١٦) نشر غلطا تحت عنوان « قصص في اللغة » . اللسان العربي العدد ١٠ ــ ج ١ ــ ١٩٧٣ . ص ٢٢٤ .. وكتابنـا « تاريخهم من لغتهم » .

٨٣ - kannone : مدفع

الاستاذ الحميري : «من كانون بمعنى تنّور» .

ردّ عليه الناقد الفاضل بأنها في (الانجليزية) canon (والصواب cannon) وهي من الايطالية cannone وهذه من اللاتينية canna .. « واصل الكلمة من البابلية الاشورية Qana وهي في السومرية الاكدية gin وتعني في الاصل آلة الدفع الكبيرة القوية ومن ثم اطلقت على الالة المعهودة للحرب (مدفع) التي ترّمى بها القنابل .. فهي ليست من (كانون) بمعنى موقد ».

ونحن نؤيده في كل هذا عدا قوله انها « في الاصل آلة الدفع .. ومن ثم اطلقت على المدفع » ، لانها في جميع معانيها في اللغات القديمة الآنفة تعني الانبوب او نحوه حسب معجمنا (Oxf: cane) وانما اطلقت على المدفع حديثا فيما نعتقد لانه انبوب من معدن تقذف به القنابر . اما العلاقة اللغوية بين المدفع والدفع فمنحصرة في العربية ، ولا وجود لها في الاوربيات .

ولم يصب الاستاذ الحميري في تخريجها من (كانون) النار ، وانما الاثل العربي الصحيح فيما نرى هو (القناة) اي انبوب القصب وهذا من (القنا) : الرمح ، او عكوك النخلة . والمقصود بالقنا : الخيزران المجوف الذي يتخذ للرماح ، وهو ايضا على قول القاموس : كل عصا مستوية وقيل ولو معوجة » اي انه يشمل الخيزران الاصم ، وهذان المعنيان نجدهما معا في cane بالانكليزية . وقد انتشرت الكلمة في الاوربيات القديمة مثل canna باللاتينية : قصب ، عصا ، خيزران ، انبوب ، و kanna و kanne بالاغريقية ، ومنها في الاوربيات الحديثة canne بالفرنسية و caña بالاسبانية و canna بالايطالية ..

٨٧ - katarrh : رشح ، زكام

الاستاذ الحميري : من (قطر) .

كنا على وشك تجاوز مناقشة هذه الكلمة لانها دخلت الالمانية في القرن الـ ١٦ ، لولا انها عريقة في اوربيات اخرى يقول انها « ترجع الى اللاتينية catarrhus وهذه من اليونانية catarrhous زكام ، ومعناها انصباب السائل والفعل منها في اليونانية rhein يعني يسيل ... فالكلمة ليست من (قطر) العربية » .

استنتاج .

لماذا ؟ لا ندري . هل كون معناها « انصباب السائل » يدل على انها ليست من (قطر) ؟

ثمة في الاوربيات بالاضافة الى هذا صيغة اخرى من الكلمة العربية بمعنى الماء المتساقط ، والشلال ، والماء الابيض يغشي بؤبؤ العين ، وهي في اللاتينية catarracta وفي الاغريقية katar (r) aktes دخلت في بعض الاوربيات الحديثة . فسيلان الانف اي الزكام بالالمانية katarrh وبالانكليزية catarrh من (قطر) ومسقط الماء بالالمانية katarat وبالانكليزية cataract من (قطرات) . وكل هذا لا يؤيدهم في ظنهم ان صلب الكلمة في الاغريقية هو rhein فهذه كلمة اخرى فيما يظهر ، الا ان تكون هي المختزلة من katarrhous .

٩٥ - lüge : كذب ، بهتان

الاستاذ الحميري : من (لغو) .

لكن الناقد الكريم بعد ان يذكر بعض الصيغ ومنها liogen (الصواب liogan) في الجرمانية الفصحى القديمة و liugen في الغوطية و lie في الانكليزية و ljuga في السويدية .. يقول انها ليست من (لغو) .. « لان هذه لا تعني الكذب بل تعني الخطأ وما لا يعتد به من كلام وغيره » .. ويستشهد مرة اخرى بالقاموس مع ذكر المادة ورقم الجزء والصفحة .

هنا ايضا يريد ان يخبرنا ضمنا بأنه لا يعترف بعلم السيمة (علم دلالة الالفاظ) بالرغم من كل ما تقدم ذكره وبالرغم من انه هو ذكر نماذج من تغير المعنى في تضاعيف حديثه من ذلك مثلا قوله بالنص « واما الكلمة : matt فهي الفعل العربي (مات) ولكن معناه في الالمانية اليوم : ضعيف ، تعبان .

كامد اللون . وهي نفس الكلمة المستعملة عند الاوربيين في لعبة الشطرنج Schah matt (الشاه مات) .. » (المورد : ٢/٣٧)

فاين الموت من التعب (وليس التعبان كما قال) ، من الكامد اللون ، من مات الشاه ؟ اليس في هذه التطورات المعنوية عبرة ؟

على ان الصلة بين الكذب و « ما لا يعتد به من الكلام » اوثق من الصلة بين كثير من الالفاظ الاوربية التي يستشهد بها هو آنفا ولاحقا مما

تغيرت معانيه في مختلف اللغات . بل انه كناقد لغوي يعلم انه ما من احد اعتاد الرجوع الى المعاجم الا عرف هذه الحقيقة البسيطة . فليسمح لنا اذن ان نشك في مقدرة نهجه (العلمي) هذا على تصحيح نهجنا (غير العلمي) .

ان (اللغو) يعني في العربية : الكلام ، او مالا يُعتَدُّ به من الكلام وغيره . ومن معناه الكلامي صيغت (اللغة) التي تسربت الى اللغات الاوربية قديمها وحديثها . ولعل اقدم المعروف منها صيغة logos بالاغريقية بمعنى كلمة ، ومنها logia كلام ، محادثة ، و logica : منطق .. الخ .

وليس بمستبعد ان تكون قد دخلت الاوربيات بمعناها الاخر ايضا اي : ما لا يعتد به من الكلام ، ثم الكذب . وهل الكذب الا كلام لا يعتد به ؟

١٠٤ – milch : حليب

ذكرها الاستاذ الحميري قائلا « وكذلك في سائر اللغات السلافية وتعني الحليب او اللبن . هي من الملح فمن معانيه الحليب ايضا » .

لكن الناقد الفاضل رد عليه بايراد صيغ الكلمة في لغات مختلفة قديمة وحديثة ، ثم اورد صيغا فعلية منها قائلا « الاصل في هذا الفعل هو الجذر الجرماني القديم الذي يعني يمسح ، يحلب . وله صلة بالفعل اليوناني amelgein واللاتيني mulgere : يحلب (Et. 433, LD 340 اللغة فندريس ٦٧) . فكلمة milch ليست من (الملح) العربية . وقد تستعمل مجازا بمعنى اللبن (اساس البلاغة ٦٠٢) ومعناها الوضعي الرضاع اي امتصاص الثدي (القاموس « ملح » ١/٢٥٠) »

هذا نموذج آخر من نقد الدكتور سودان .

فأولا ان كل ما ذكره من الصيغ الاوربية الكثيرة – الثلاث عشرة – لا يمكن ان يستنتج منه ان اثلها غير العربية . فمن الجائز ان تكون ناشئة من صيغة عربية اختلفت الشعوب الاوربية في نطقها كما هي الحال في معظم الالفاظ الاوربية ان لم نقل كلها .

ثانيا : لماذا يعتبر الفعل في الاوربيات هو (الاصل) لا الاسم ؟ وبا طالما اقتبست اللغات اسماءا ثم صاغت منها افعالا واشتقاقات اخرى . وهل اذا وردت الكلمة بصيغة الفعل والاسم معا لا يمكن ان يكون الاسم هو الاثل ؟

ثالثا لماذا يكون « الجذر الجرماني القديم هو الاصل في هذا الفعل » – لا الاغريقي مثلا ؟

رابعا : انه ينفي العلاقة بين الملح و (milch حليب) لان هذه تعني الرضاع : امتصاص الثدي . وهل يمتص احد من الثدي شيئا غير الحليب ؟

كنا تطرقنا الى تاثيل (الملح) وترسيسه بعنوان (الحمال والحبلى والفلام والملح)(١٧) . واول ما نورده هنا من ذلك الحديث ان الحليب هو اصل معنى (الملح) خلافا لراي العلامة الزمخشري في « اساس البلاغة » القائل ان معنى الحليب مجازي في الكلمة والذي اوقعه في هذا الوهم كثرة الصيغ المشتقة من مادة (ملح) بمعنى ملح الطعام . حتى الملاحة (الحُسن) جاءت على المجاز من معنى الملح لانه يجعل مذاق الطعام (مليحا) اي مستطابا . اما معنى الرضاع فورد في المعاجم منزويا في صيغ قليلة لعل الزمخشري لم يطلع عليها كلها لعدم تيسر المعاجم واكتمالها على عصره – وها هي ناقصة لما تكتمل حتى على عصرنا .

ومن شاء تفصيلا عن (الملح) فليراجع حديثنا الذي اشرنا اليه ، لكننا نقول هنا باختصار انه من (الحليب) الذي منه انبثقت (الحلمة) – برعم الثدي الذي يدر الحليب – ومنها الحلم والاحتلام بمعنى الرؤيا . والفعل هو حَلَم (بالتحريك) صبي في نومه ، واحتلم ، وتحلّم ، وانحلم : ادرك وبلغ مبلغ الرجال . وسبب التسمية انه يفرز عند الاحتلام مادته البيضاء الشبيهة بالحليب ، وكأنهم قصدوا ان الصبي حلب في نومه واحتلب وتحلّب وانحلب . ومن (الحَلْم) بمعنى الحلب نشأت صيغة (الملح) بمعنى الحليب ، وفعل ملح يملح ملحا . قالوا : « مَلَح الولدَ : ارضعه (قاموس) ، وكان اجدر به لولا رغبته الفارطة في الاختزال ان يقول (ملحت المراة الولد : ارضعته) لان الرجل لا يرضع ولدا . ومهما يكن فقد قال ابن سيده « مَلَح : رضع » . ثم صار (الملح) يعني الشحم والسِمَن (بكسر ففتح) لان الحليب يستخرج منه الزبد فالدهن .

وما صار الملح يعني المادة الطعامية الا بعد عهود ، حيث لاحت لهم المملحة (منبت الملح) في الفلاة من بعيد بيضاء كأنها بقعة من حليب . ومنها صاغوا : لمح ، ثم لمع . فالمعنى (المجازي) هو هذا اي ملح الطعام : لا الرضاع على قوله .

(١٧) اللسان العربي . العدد ١٩٧٢/٩ – ج ٤٤٩/١ .

ونزيد الناقد الفاضل بيانا عما قاسته الكلمة من تحولات لفظية باستعراض الصيغ التالية مع احتفاظها بمعناها :

ملج الصبي امه : تناول ثديها بادنى فمه فرضعها . والمليج : الرضيع .

ملحت الام ولدها : ارضعته (كما تقدم) .

ملع الفصيل امه : رضعها .

ملق الولد امه : رضعها

مَلَكَ الخلف امه : قوى وقدر ان يتبعها (ونعتقد ان اصل المعنى : رضعها ، ثم قوى وقدر أن يتبعها ليرضعها)

ثم انقلب لام (ملح) راءا فقيل :

مَرّت ثدي امه : مصه

مرد الصبي ثدي امه : مرسه

مرس الصبي اصبعه : لاكها او مصها .

فهذا ينبيء عن اثالة (الملح) في العربية اولا وعلى ان اول معانيه هو الحليب . واذا كانت الكلمة قد بلغت هذا المبلغ من التنوع وتغيير الازياء في العربية فلا غرابة في اختلاف مبانيها الى حد غير يسير في مختلف اللغات الاوربية مثل :

melok	ـ بالفريزية القديمة
melo(o)c	ـ بالسكسونية
milc	ـ بالانكليزية القديمة
milch	ـ بالالمانية
milk	ـ بالانكليزية
miluh	ـ بالجرمانية القديمة
miluk	ـ بالسكسونية
mjolk	ـ بالنورسية

ومن الاسم صيغ الفعل melchan بالجرمانية القديمة و milchen بالالمانية ، وانما نرجح ان يكون الاسم هو الاثل لان الفعل يتكون في بعض الاوربيات من الاسم باضافة an او en او in .. اليه ، وفي بعضها الاخر : are او ere او ...ire

١٠٥ ـ mischen : خلط ، مزج

الاستاذ الحميري : من (شج) .

بعد أن يستعرض الناقد الكريم بعض صيغها على العادة ينفي ان تكون من (الشج) والحق معه ... « لان الشج : الكسر والقطع (القاموس « شج » ١٩٥/١) وقد يستعمل بمعنى المزج مجازا كما في (شبّح الشراب) أساس البلاغة ٣٢١ » .

اولا انه لم يذكر كيف يفند استعمال الكلمة بمعنى المزج في (أساس البلاغة) . ثانيا ان الكلمة ليست من (شج) بل لابد ان يكون الصواب من (مشج) بالميم ، لكن الناقد الفاضل اوردها (شج) اما لانه وجدها كذلك بسبب خطأ مطبعي واما لانه قراها كذلك سهوا .

وجاءت الكلمة الالمانية mischen بصيغتها هذه من جرمانية العصور الوسطى وكأنها منحدرة من الجرمانية الفصحى القديمة miskan او misgen ، وهذه قريبة من الاغريقية misgein التي تظهر في اللاتينية بصورة miscere ومنها mixtus : مخلوط ، ومنها في الانكليزية mix . وصيغتها في السنسكريتية misrās الشبيهة جدا باللثوانية misras

ويلاحظ مما استعرضنا فيما مضى من البحث من مختلف الكلمات التي أثلناها من العربية ، وفيما سيأتي ، ان اقرب الصيغ الى الاثل العربي تظهر مرة في هذه اللغة الآرية ومرة في تلك ، ما يجعل الامر بحاجة الى فاكورة (عقل الكتروني) ليصنف لنا جميع مفردات المعاجم ويفرزها حسب دلالاتها المختلفة ومبانيها المتعددة لتفهم علاقاتها المتواشجة ، اذن لا تكشفت حقائق يتعذر على العقل البشري أن يحيط بها جملة ويصدر حكمه القاطع بشأنها . لكن التشابك والتداخل يدلان على كل حالة على شدة اختلاط الشعوب وتفاعل اللغات .

الاثل العربي (مشج) له نفس المعنى,اي المزج والخلط . والاسرة اللغوية هي : مزج ، مثج ، مشج ، مش ، مشط ، وكذلك مذق .

هذا الاختلاف في نطق الكلمة في اللغة الام يبرر ذلك الاختلاف اليسير بينها وبين الصيغ الاوربية .

(المنشار) هكذا وثبة واحدة وانمـــا ظهرت اولا بصور مختلفة في لغات اوربية مختلفة منها sahs (اي بقلب الكاف هاءاً) في كل من الجرمانيـــة الفصحى القديمة والسكسونية والفريزيةالقديمة. ثم استعير منها معنى المنشار في sega و saga بالجرمانية القديمة ، و sog في النورســية و seghe في الهولندية الوســطى ، و saw في الانكليزية .

وما ادرجنا كل هذه الصيغ الا لعرض نموذج آخر من انحراف المعنى وتطور المباني .

واذا تذكرنا ان السكسون « شعب جرماني احتل قسم منهم وهم الانكلوسكسون ، جنوبـــي بريطانيا بينما بقى الاخر وهم السكسون القدماء.. في المانيا » (Oxf: Saxon) .. نعم ، اذا تذكرنا ذلك علمنا ان لغتهم جرمانية اثيلة حتى غير المدون منها ضمن الجرمانية الفصحى القـــديمة . اي ان صيغة seax السكسونية اقرب الى (الســكة) العربية مـــن sahs الجرمانيـــة و sage الالمانيـــة .

٥٦ ـ sauer : حامض

تنطق مثلها بالانكليزية لكنها تكتب sour وقد وردت Sur في كل من الجرمانية الفصحى القديمة والسكسونية والانكليزيـة القـــديمة ، وبصورة zuur بالهولندية .

الاثل العربي فيما يبدو هو (السورة) ـ زنة الثورة ـ اي حدة الشراب بوجه عام كسورة الخمر ونحوها . واثلها (الثورة) التي تحدثنا عن تاثيلهـا طويلا في بحث « عشتار »(٢٦)

وجاء في العربية (السؤْر) ـ زنة الشكر : ما يبقى في الاناء من الماء ، البقية والفضلة . واذا كان (السؤر) من (السورة) آنفا فلابد ان اصل المعنى قد كان (بقية الشراب) ثم عم فشمل الماء ، ثم شمل الفضلة والبقية من كل شـيء . وقد قالوا تسأر (كتقدم) نبيذاً : شرب سؤره اي بقيتـه . فالأمر يدور على النبيذ والخمر ونحوهما مـــن مشروبات حاذقة ـ اى حامضة .

اما (الثورة) التي قلنا انها اثل (السورة) فقد جاءت كذلك عـلى صورة ثوران (كخفقان) وثؤور (كرؤوس) وهي قريبة الشبه بـ (السؤر) ثم بالصيغة الهولندية zuur ، أعلاه .

٥٧ ـ schakal : ابـن آوى

ان كان ثعلبنا (fuchs) قد رجع بنسبه البعيد الى جده (ابن آوى) العربي فان ابن آوى هـــذا schakal تعود ارومته الى الكلب ، ومنها الى البـول .

فكيف كان ذلك ؟

توجد الكلمة في آريات شرقية وغربية . ويظهر ان دخولها الى الاوربيات حديث نسبيا لاننا لـم نجدها في القديمات . او لعلهـا كانت قديمـة في الدارجات غير المكتوبة . هي بالانكليزية jackal وبالفرنسية والتركية chacal . ثـم هـي بالسنسكريتية srgal (Oxf: jackal) ثم هي بالفارسية شَغَال (بالفتح) ، لكنها بالعربية (شَغْبَر) ، ويقول اللغويون ـ العرب وغيرهم ـ ان اسمه العربي هذا من الفارسية (شغال) ، لكن تاثيلنا يقودنا الى عكس الاتجاه ، اي ان (شغال) ـ وبقية اسمائه الاعجمية ، ترجع الى العربية .

ان رسّ الكلمة هو (شخّ) حكاية صـــوت البول ـ من البنت خاصة ـ لما يحدثه من نشيش احسنوا تصويره بلفظه (شخ) . وان كانت هذه مفقودة في المعجم فانها ماتزال مستعملة بالدارجـة الشاميه بنفس صيغتها البذيئة ـ شخ يشخ : بال يبول . اما بالدارجة العراقية فتستعمل بهـذا المعنى لكن عند الاستكراه وارادة الذم .

لكن الكلمة تركت مع ذلك في المعجـــم بعض ذراريها قبل ان تندثر مثل شخبت لبنا : حلبته ، وشخب قتيلٌ دما : جرى دمه . ومن ذلك ايضا شغ بعير ببوله : فرقه . ومن ذاك وهذا نجـــم قولهم شَغَرَ كلب : رفع رجله ليبول . والله وحده يعلم كم من الالفاظ ضاعت وبقيت منهـا هــذه البقية . وربما توجد منها بقايا اخرى لا تحضرنا .

وبعد ان انتقل المعنى من البول الى حلب اللبن ونزف الدم وتفرق بول البعير ورفع رجل الكلب تحول من الكلب الى ابن آوى مذ سموه (الشغبر). ويلوح من صيغ الكلمة في الاعجميات (شـَغال)و jackal الخ... ان العرب قد سموه (الشغار) ـ بالتشديد ـ وسافر الاسم مع المهاجرين الاولين ـ الآريين ـ لكنه تطور في العربية مرحلة اخـرى الى (الشغبر) .

٥٨ ـ schiff (شِيفْ) : سفينة

يقولون ان اثلها skiff في الجرمانيـــة

---

(٢٦) كتابنا « تاريخهم من لغتهم » / و « اللسان العربي » ـ العدد ٩ ـ ج ١ ـ ١٩٧٢ .

الفصحى القديمة . وتناظرها الفاظ كثيرة في لغات اخرى منها skip في النورسية القديمة والغوطية . لكنها schip في الهولندية و ship في الانكليزية اقرب الى نطق اثلها العربي (سفينة) ولو بدون النون . غير ان النون يظهر في صيغ اخرى تقطع الشك مثل scipian في الانكليزية القديمة المتأخرة و schepen في الهولندية الوسطى . وتظهر الفاء صريحة في schiffen بالجرمانية الفصيحة الوسيطة .

« سَفَنَه يسفِنه : قَشَرَه ، ومنه السفينة لقَشرها وجه الماء » ـ القاموس . لكننا لا نرى ان تسمية السفينة من قَشرها وجه الماء ، بل من حركتها . قالوا (سَفَنَت الريح : هبّت على وجه الارض ، فهي سافنة وسفين وسفون » . وشبيه بذلك تسميتها (جارية) من جريها كما في الاية : « إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية » ، والآية : « ومن آياته الجواري في البحر كالاعلام » .

كنا تطرقنا الى بعض تفصيلات اخريات عن السفينة في « اللسان العربي ـ (العدد ١١ ـ ج١ ـ ١٩٧٤ ـ ص ١٦) .

٢٩ ـ sechs : ستة

اثلها هذه (الستة) . وهي six بالانكليزية والفرنسية ، ولها عدة صيغ مشابهة في الانكليزية القديمة مثل siex و .. السخ saihs في الغوطية ، و seks في الجرمانية الفصحى القديمة . وردت بنفسها في اللاتينية مع فرق الاملاء : sex وهي في الاغريقية hex .. وبصيغ مقاربة في لغات اوربيات اخريات . اما في الفارسية فهي (شِش) بالكسر . وعلاقتها جميعا بالصيغة العربية (ستة) لا تحتاج الى برهان لكن مشكلتي انني لم استطع حتى الان تاثيل هذه الكلمة العربية في العربية . ولعلي لو اطلعت على مزيد من الصيغ الاعجمية آرية وسامية ، لاهتديت الى اثلها .

وانما ارجع عروبتها قياسا على الكثير من الكلمات المشتركة الاخرى ،

٦٠ ـ sieben : سبعة

لو قلنا سلفا ان (هَفت) الفارسية منشؤها (سبعة) لم يصدقنا احد . لكن استعراض الصيغ الكثيرة الاجنبية سيوصلنا الى هذه النتيجة . ولعل اقرب الصيغ الى الاثل العربي هي sapta السنسكريتية . ولندرج هذه الصيغ من مختلف اللغات على ترتيبها الهجائي :

			سبعة: العين	سبعة: الباء
١	haft	(هَفت) بالفارسية	t	f
٢	hepta	بالاغريقية	t	p
٣	sapta	بالسنسكريتية	t	p
٤	saven	بالفريزية القديمة	n	v
٥	secht	بالارلندية القديمة	t	ch
٦	semdi	بالسلافية القديمة	d	m
٧	seofon	بالانكليزية القديمة	n	f
٨	sept	بالفرنسية	t	p
٩	septem	باللاتينية	t	p
١٠	septyni	باللثوانية	t	p
١١	sette	بالايطالية	t	t
١٢	seven	بالانكليزية	n	v
١٣	sebum	بالجرمانية الفصحى القديمة والسكسونية والغوطية	n	b
١٤	sieben	بالالمانية	n	b
١٥	sigun	بالفريزية القديمة	n	g
١٦	sjau	بالنورسية القديمة	u	j
١٧	sogen	بالفريزية القديمة ، ايضا	n	g
١٨	soven	بالفريزية القديمة ، ايضا	n	v
		بالهولندية	n	v

فالصيغة الالمانية (sieben) التي نحن بصددها ليست سوى حلقة من سلسلة طويلة .

وهذه الالفاظ الـ (١٩) هي التي تيسر جمعها وهي ليست كل الالفاظ الميتة والحية في مختلف القديم والحديث من اللغات بطبيعة الحالة . وهذه الكثرة الكاثرة تعني عالمية الكلمة اولا ، وتعطينا نموذجا شافيا لما يعتور المفردات من تحوير حتى مع ثبات المعنى ثانيا . فالباء في (سبعة) لم تبق الا في الصيغتين ١٣ و ١٤ غير انهم ابدلوا بها :

ch (الخاء او الكاف او الشين) في الارلندية القديمة (رقم ٥)
f في الفارسية (١) و الانكليزية القديمة (٧)
g في الفريزية القديمة (١٥ و ١٧)
j في النورسية القديمة (١٦)
m في السلافية القديمة (٦)
p في الاغريقية (٢) ، والسنسكريتية (٣) ، والفرنسية (٨) ، واللاتينية (٩) ، واللثوانية (١٠)
t في الايطالية (١١)
v في الفريزية القديمة (٤ و ١٨) ، والهولندية (١٩) .

اي انها نطقت بتسع صور (مع العربية) .

وواضح انه ليس من الضروري في التطور اللغوي ابدال الحرف بما يقارب صوته من الحروف . وهذا الذي رأينا انما طرأ على حرف الباء السهل ، الذي تنطقه كل الشعوب ، ولم يبق على حاله الا في لغتين (١٣ و ١٤) من اللغات الـ (١٩) . فأما حرف العين الذي تعجز عن نطقه كل الشعوب الاوربية ومعظم الشعوب الاخرى فقد ابدلوه في هاته اللغات كلها واستعاضوا عنه بالتاء او النون او الدال وكلها بعيد ايضا عن صوت العين .

اثل (السبعة) في العربية لسنا متأكدين منه . يغلب على الظن انه من (السَبُع) : الحيوان المفترس ، ولو اننا لا نعرف المناسبة التي انتقل فيها المعنى من الحيوان الى العدد الذي يلي الستة . .

القاموس : « اما اصلها : اخذه اخذ سَبُعة ــ بضم الباء ــ فخفّف ، اي لبواة ، واما اسم رجل مارد اخذه بعض الملوك فقطع يديه ورجليه صلبه ، فقيل لاعذبنّك عذاب سبعة ، او كان اسمه سَبُعا فصغّر وحقر بالتانيث (!) او معناه اخذه اخذ سبعة رجال » ... تأويلات ليس فيها ما يقبله العقل ، وخاصة قوله الاخير : « اخذه اخذ سبعة رجال » وقد نسي ان هذه السبعة هي التي نفتش عن منشئها ، ففسر السبعة بعد الجهد باسبعة .

٦١ ــ singen : يغنّي

وردت singwan في القوطية ، و singan في كل من الجرمانية الفصحى القديمة والسكسونية ، و sing في الفريزية القديمة . وهي بالانكليزية sing .

وكنا اثلناها من (الصنج) اي القرص المعدن يضرب بمثله فيحدث صوتا مطربا ، ثم اطلقوه على معزف وتري ايضا . اما رس الكلمة فهو (صج): ضرب حديدا بحديد فصوّتا » . وهي تصوير نطقيّ بارع للتعبير عن صوت الحديد المسطح اذا صكّ حديدا مثله .

ومن الصنج ظهرت في الانكليزية صيغة sang (غنّى ، بالماضي) و song (اغنية) و sung (مفعول) و sing (مضارع) .

[تفصيلات اخرى في المغامرات /٢١٤ وما بعدها]

٦٢ ــ sitzen : يجلس

هذه اقرب الى الاثل العربي البعيد من sizzen بالجرمانية الفصحى القديمة التي يفترض انها الاثل المباشر . وهي sittan و shitt في الانكليزية القديمة ، و sitta في الفريزية القديمة الخ .. واخيرا sit في الانكليزية وربما كان منها shit : براز .

سبق ان تكلمنا عليها عند مناقشة gesass مقعد ، حيث اثلناها من (الستِه) : العجز ، وهذا من (الاست) وهذا من (الأس) . تراجع .

٦٣ ــ sperling : عصفور

تبدو بعيدة عن اثلها العربي (العصفور) لكن تتبع صيغها في لغات اخرى على العادة يحل الاشكال . ولعل اقربها spor في الايسلندية . وهناك spurre في الهولندية ، و sparwa في القوطية ، و sparo في الجرمانية الفصحى القديمة وهذه اقرب الى الانكليزية sparrow وابعد من ان تكون الاثل المباشر لصيغة sperling الالمانية .

وقد تطرق الاب الكرملي للكلمة فقال « على ان اشتقاقه من الصفير واضح لا يحتاج الى دليل . وصفر على وزن (فعلول) فقيل (أصفور) اي عصفور »(٢٧) .

ونحن نؤيده في تأثيل الكلمة من الصفير ، ويخيل لنا انهم سموه اولا (صَفّور) بالفتح والتشديد كسَفّود وبلوط وقيوم .. وخاصة ان العصفور ورد بدون العين في الارمية (صفرو safro) اي ان الكلمة الارمية انسلخت عن العربية قبل ان يفأمها العرب بالعين او انها كانت لهجة القبيل العربي الذي منه انحدر الارميون .

ومن التحريفات التطورية ورود الكلمة بصيغة strouthos في الاغريقية و passer في اللاتينية ، و passereau في الفرنسية ولولا الاستدلال باللغات السالفة لما استطعنا ان نقول في ثقة ان هذه الثلاث من (العصفور) .

٦٤ ـ stern : نجم

ان كان القارىء يستبعد ان اثلها (عشتار) فلنستعرض بعض الصور الاوربية للكلمة . لكن لا. امامي الان خمس عشرة صورة للكلمة ولن اجرب قابلية القارىء لا لتهامها . ولا حاجة لاعادة تجربة sieben) : سبعة) . اكتفي بذكر astaron بالاغريقية وهي اقربها لصيغة (عشتار) ، ثم stella و sterula و astrum باللاتينية . واخيرا stero و sterno في الجرمانية الفصحى القديمة . ونذكر بالمناسبة ستاره (sitareh) بالفارسية .

لقد كان لاسم (عشتار) البابلية ايضا صيغ مختلفة فهي عشيرة في الكنعانية القديمة وعشتار وعشتروت في الكنعانية المتأخرة (الفنيقية) وهي عشتر لدى السبئيين ، وعستر لدى قدماء الاحباش ، وعيثار وعشتار عند الارميين ، واثيرة عند قدامى اليمنيين .

ولا نعلم اية صيغة آرية مقتبسة من اية صيغة من هذه العربيات او غيرها من الصيغ الباقية او البائدة .

واخيرا نقترح مراجعة حديث لنا بعنوان « عشتار » للاستزادة من اخبارها واخبار اثولها وفروعها الخطيرة في التاريخ القديم(٢٨) .

٦٥ ـ volks : شعب ، جماعة ، طائفة

وردت بصيغة folc في الجرمانية الفصحى القديمة والنورسية والانكليزية القديمتين كذلك ؛ وبصيغ مقاربة في لغات اخرى . يظهر ان المؤثلين لا يعرفون لها مرجعا اقدم . واثلها العربي هو الفلق ـ زنة الشفق ـ بمعنى الخلق كله . جاء المعنى من انفلاق الحبة عند نبتها ، ومن ذلك « فالق الحب : خالقه او شاقه باخراج الورق منه » ـ قاموس .

رسمها : فررررر ـ فرّ ـ فرق ـ فلق ...

ومنها في الاوربيات folklore التي نقترح بناءا على ما تقدم تسميتها (الفلقيات) وان كنا نشك في تقبلها لدى الكتاب .

٦٦ ـ wein : نبيذ

يقابله wine في الانكليزية بنفس النطق ، وهو قريب من اثله العربي (الوَيْن) زنة العين : العنب الاسود .

وقد وردت بصوره win في كل من الجرمانية الفصحى القديمة والانكليزية القديمة والسكسونية ، وبصيغة vino بالايطالية والسلافية القديمة ، و vin بالفرنسية و vinum باللاتينية . ومن صيغه المتباعدة gwin بالولزية ، و oines بالاغريقية . وتبدو صيغة vino الايطالية / السلافية اقرب الى (اينو) البابلية . ويخيل لنا ان اثل (الوين) هو (العين) وقد نطقت العين واوا بالعربية في كلمات مثل : الدَّوس (الدعس) واللوّاب (اللعاب) و ماج البحرُ موجا (معج معجا) وعلاقة العين بالعنب الاسود لم تفلت من سجل العربية . القاموس : « وعيون البقر : ضرب من العنب الاسود غير صادق الحلاوة » . وكون هذا العنب اسود يوثق صلة بالوين .

ولعل البابليين كانوا ينطقون (اينو) بالعين : (عينو) حين يكتبونها بالهمزة بالخط المسماري لعدم وجود حرف العين فيه ، كالذي تفعله اللغات الاوربية اليوم عند كتابة (عينو) نفسها (aynu)

٦٧ ـ zahn : سن

(السنّ) ايضا اصبحت كلمة عالمية انتشرت في الكثير من اللغات الآرية شرقية وغربية ، بصيغ

---

(٢٧) « نشوء ... » / ١٢٢ .

(٢٨) « تاريخهم من لغتهم » ـ و « اللسان العربي » العدد ٩ ـ ج ١ ـ ١٩٧٢ ص ١٩٧

متباينة يبتعد الكثير منها عن الأثل العربي ، من امثال tooth في الانكليزية و odont في الاغريقية و dent و dens في اللاتينية ومنها dent في الفرنسية . وتبدو (دَندان) في الفارسية وكأنها صيغة جمع للكلمة الفرنسية / اللاتينية . واقرب الصيغ الى الاثل العربي (السِن) هي (zan) في الجرمانية الفصحى القديمة ومنها zahn في الالمانية .

كنا اثلنا (السنّ) من (اللسان) . اما كيف انتقل المبنى والمعنى من هذه الى هذه فاليك البيان موجزا . قالوا لَسَنَتْه العقرب : لسعته ، ثم لسبَتْه الحية (بالباء التحتية) : لدغته . وهكذا صار معنى اللسع الى العض و (لَسَن) العقرب الى (سِنّ) الحية . وقد شرحنا ذلك في بحث (الانثى والنحلة والنسناس)(٢٩) . وقد اثلنا الكلمة من النسل فالاسل فالأس ــ بتفصيل واف .

٦٨ ــ zal و zagel : ذيل

توجدفي لغاتمختلفة ، اقربها الى اثلها العربي : tail في الانكليزية . ومن الصيغ الاخرى نذكر taegel في الانكليزية القديمة و tagl في كل من النورسية القديمة (بمعنى ذيل البقرة او الحصان) والغوطية (بمعنى شعر الراس) . ولو قد بقيت هذه الاخيرة فقط (اي tagl شعر الراس)مثلا : لما استطعنا ان ندعي ان لها صلة بالعربية (ذيل) .

والذيل في الجرمانية الفصحى القديمة هو zagal ومنه في الدارجة الالمانية الحاضرة zagel و zal ، اي انها لا توجد في الفصحى ، وهذا لا يعني انها دخلت الجرمانية حديثا بل يعني انها كالكثير غيرها لم تكن فيلغة بلدة (هنوفر) التي قامت عليها الالمانية الفصحى الحاضرة ، وكانت في لغة مدن اخرى .

٦٩ ــ zehn : عشرة

أثلها العربي هو (اليد) بل بالاحرى (اليدان) لان العشرة هي عدد اصابع اليدين كلتيهما . وهذا البون الشاسع بين الكلمة الالمانية واثلها العربي ينبيء عن كثرة ما طرأ عليها من تقلبات .

في الجرمانية الفصحى القديمة هي zehan وفي السكسونية tehan ، وفي الغوطية taihan وفي الفريزية القديمة tian و tine و tene وفي الانكليزية ten .

وثمة فصيلة اخرى تتغير فيها الهاء أو الياء فيوسط الكلمة فتنطقها كافا مثل decen في اللاتينية و deca في الاغريقية ، تقابلها daça في السنسكريتية . ومن هذه الفصيلة ظهرت dix في الفرنسية (وتنطق : دي) ، و dieci في الايطالية (وتنطق : ديچي) .واخصر الصيغ هي الفارسية : دَهْ .

ولولا اتفاق المعنى ما امكننا ان نقول ان هذه الطائفة المتباينة كلها كلمة واحدة . وانما نشأت (دَهْ) الفارسية من نطق (يدان) .. (دان) اول الامر فيما يبدو ، ثم حذف النون فصارت (ده) . ويلاحظ القاريء ان الالف والنون مازالا شاخصين في بعض الصيغ الاوربية بصورة an او en او in واقربها الى اثلها العربي صيغة tian الفريزية وكأنها مقلوبة من (يدان) . وفق امثلة استعمال (اليد) للعدّ ان اهل فلسطين لا يقولون خمسة بل (يدك) كناية عن اصابعها .

و (اليد) اثلها الأيْد (كالقيد) : القوة . ومثلها الآد (كالآل) ، وهذا من الأدّ (كالمدّ) ــ من هدّ ــ خدّ (قطع) ــ قدّ ــ قط .. او شيئا من هذا القبيل .

٧٠ ــ ziege : عنزة

سبق الكلام عليها في (geiss) بمعناها . وهي مقلوبة منها . اثلناها من (الجدي) .

٧١ ــ zwei : اثنان

هي بالزاي هنا وفي zwa و zwō بالجرمانية الفصحى القديمة ، وبالتاء في twā و twō و twegen بالسكسونية ، وبالدال في duo باللاتينية و الاغريقية و dwau بالسنسكريتية ، و np بالفارسية .. الخ .

(٢٩) اللسان العربي ــ العدد ١٤ ــ ج ١ ــ ١٩٧٦ ص ١١ .

أما بالعربية فلدينا ثلاثة حروف ايضا احدأها الزاي في (الزَّوْ) : القرينات ومنها صيغ (الزوج) بمعنى القرينين كليهما او الفرد منهما ، والثانية بالتاء (التَوْ) : الفرد واصل المعنى الواحد من القرينين ، والثالث بالطاء في (طوى) ـ بضم ففتح ـ ولها معنى التثنية أيضا ، لذلك كان من جملة تفسيرات الآية « انك بالواد المقدس طوى » قولهم : المقدس مرتين .

وقد سبق أن اثلنا بشيء من التفصيل هذه الالفاظ الثلاث (التَوْ والزَوْ والطيْ) من رسْ واحد هو محاكاة صوت أنكسار غصن على شكل زاوية دون ان ينفصل طرفاه ، ونشوء كلمتي top و two بالانكليزية منها (مغامرات / ٢٢٨-٢٣٢) يراجعها من شاء مزيدا من التفضيل وتصديع الراس .

* * *

كل هذا التشابه والكثير من أمثاله ، بين العربية والآريات ، ومنها الالمانية ، لا يمكن أن يكون « وليد المصادفة ليس غير » فيما يظهر .

* * *